# حِزبُ اللهِ يعبُرُ الحُدُود

## القُصَيْر نموذجًا

Bundesamt für
Auswärtige Angelegenheiten

أمم
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

# حزب الله يعبر الحدود

## القُصَير نموذجًا


بحث وتوثيق: **مبادرة «تاريخ سوريا الحديث»**

مراجعة: **عباس هدلا**

إشراف عام: **مونيكا بورغمان، علي منصور**



Bundesamt für
Auswärtige Angelegenheiten

أرشيف للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

# A Cross Section of a History
## The Shia Community in Lebanon

# تواريخُ مُتَقاطِعَة
## حِصّة الشيعة منها فِي لبنان

مـن بـاب حفـظ الذاكـرة اللبنانيـة، باشـرت أمـم للتوثيـق والأبحـاث، من بـاب فهـم الواقـع اللبناني بحالاتـه وشـجونه الآنيـة، الإبحـار فـي تاريـخ أمواجـه المتمثلـة بطوائفه، وقـراءة سـردية كل طائفة، مـن تأسيسـها إلـى مسـيرتها فـي التاريـخ الزمنـي اللبنانـي، والتمعـن فـي إنجازاتهـا وإخفاقاتهـا، رؤيتهـا، جغرافيتهـا، ديموغرافيتهـا، أيديولوجيتهـا، وتاريـخ وقائعهـا، مـن خـلال مـا تيسـر مـن مصـادر مفتوحـة، تُظهـر وجهَهـا بمختلـف تعابيـره بطريقـة متجـردة بعيدة عـن الغلـو أو التفخيم.

لعـل الدخـول فـي هـذه السـرديات يسـاهم فـي معرفـة وقائـع الأمـور ويعطـي فكـرة عـن الدوافع التـي أودَت فيمـا أودت إلـى الواقـع الحالـي، ومـن خـلال مـا سـينتج مـن هـذا المشـروع، يمكـن التعمـق بالرؤيـا التـي يمكـن السـير بهـا لبنـاء مسـتقبل جديـد لهـذا الوطـن، مبنـي علـى التعلـم والاتعـاظ مـن تجـارب الماضـي لبنـاء المسـتقبل المشـرق، ومعالجـة الواقـع الحالـي بكوارثـه ومآسـيه...

سـيرًا علـى خطـى مشـاريع أخـرى تجمـع بيـن همـوم «الماضـي» وإلحاحـات «الحاضـر»، يسـعى مشـروع «تواريـخُ مُتَقاطِعَـة - حِصّـة الشـيعة منهـا فـي لبنـان»، الـذي تنفـذه أمـم إلـى التوقـف عنـد مسـألة «تاريـخ الطوائـف» بوصفهـا شـأنًا يحكـم علـى علاقـات اللبنانييـن بعضهـم ببعـض مقـدار مـا يحكـم علـى مـا بينهـم وبيـن «آخريـن».


بيروت، ٢٠٢٣
هاتف: ٥٥٣٦٠٤ ١ ٩٦١ +
صندوق بريد: ٢٥ ـ ٥ الغبيري، بيروت ـ لبنان
www.umam-dr.org | www.memoryatwork.org

أمم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

Bundesamt für Auswärtige Angelegenheiten
German Federal Foreign Office



إن الآراءَ الواردَةَ في هذهِ الكِتاب الّذي كان إنْجازُه ونَشْرُه بِدَعْمٍ مِنْ «وِزارَة الخارِجيَّة الألمانيَّة» تُعَبِّرُ، حَصْرًا، عَنْ وُجْهَة نَظَر صاحِبها، وعَلَيْه فهي لا تُلْزِمُ، بأيِّ شَكْلٍ مِنَ الأشْكالِ «وِزارَة الخارِجيَّة الألمانيَّة»، ولا تَعْكِسُ، بالضَّرورة، مُقارَبَتَها المُؤَسَّساتيَّةَ مِنَ المَوْضوع.


مبادرة «تاريخ سوريا الحديث»، هي مجموعة من الباحثين والأكاديميين والموثقين والناشطين السوريين، الساعين الى حفظ وتأريخ وتوثيق التاريخ السوري بعد إنطلاق الثورة السورية في آذار ٢٠١١، بطريقة موضوعية وعلمية ومنهجية بعيدة عن كل تأويل أو تحريف أو تزييف لهذا التاريخ معتمدين على المصادر المفتوحة والتأريخ الشفوي من خلال شهادات عايشت أو كانت جزء من الأحداث.

# الفهرس


**مقدمة** ٧

**الفصل الأول: الاستراتيجيَّة الإيرانِـيَّة في سوريا**

**١) الوجود العسكري الإيراني بعد ٢٠١١** ٢١

**٢) التغلغل الإيراني في المجتمع السوري** ٢٨

أ- مرحلة حُكم الرئيس السابق حافظ الأسد ٢٨

ب- مرحلة وصول بشار الأسد للسلطة ٢٠٠٠-٢٠١١ ٢٩

ج- مرحلة ما بعد الثورة السوريَّة عام ٢٠١١ ٣٠

**٣) الهيمنة الإيرانِـيَّة على الاقتصاد السوري** ٣٢

**الفصل الثاني: معركة القُصير والتغيِـير الديموغرافي فيها**

**١) التغيير الديموغرافي في «سوريا المفيدة»** ٣٩

**٢) واقع القُصير وأهميّتها الاستراتيجيَّة** ٤٢

**٣) القُصير من الثورة إلى المعركة** ٤٦

**٤) معركة القُصير** ٤٧

**٥) «حزب الله» في القُصير** ٤٨

أ- «حزب الله» في المعركة ٤٨

ب- التواجد الحاليُّ للحزب في القُصير ٥١

**٦) التغيير الديموغرافي والطائـفي في منطقة القُصير** ٥٢
**٧) التغلغل الاجتماعي الإيراني في القُصير قبل المعركة وبعدها** ٥٦
**٨) منع مُهجَّري القُصير من العودة إليه** ٥٨
**٩) القبض على الملكيات والعقارات** ٦١

**الفصل الثالث: النشاط الاقتصادي في القُصير في ظل «حزب الله»**

**١) الواقع الاقتصادي بعد معركة القُصير** ٧١
**٢) اقتصاد «حزب الله» في القُصير** ٧٢
أ- معابر التهريب ٧٢
ب- الحشيش زراعةً وتهريبًا ٧٤
ج- الكبتاغون تصنيعًا وتجارةً ٧٥
د- القُصير محطة لتهريب البشر ٧٧
هـ- القُصير مركز لتهريب المحروقات وأخواتها... ٧٩
**٣) العين الروسيَّة على نشاط الحزب وإيران** ٨٢

**خاتمة** **٨٩**
**مصادر البحث ومراجعه** **٩٥**
**مصادر الصُّوَر ومراجعها** ١٠١

# مقدمة

تبنَّتِ السلطةُ السوريَّةُ مُقاربةَ العنف المُمنهَج لقمع الحراك الثوريِّ السوري منذُ اندلاع الاحتجاجات في آذار ٢٠١١. وبهدفِ تأمينِ قاعدةٍ شعبيَّةٍ مُواليةٍ تدعمُ النظامَ في مواجهةِ الاحتجاجاتِ المتنامية آنذاك، المُطالِبة بالإصلاح السياسي والتغيير الديموقراطي، لَعِبَ الخطابُ الرسمي السوري على ورقة المخاوف الطائفيَّة عبر وصفه للمعارضة السوريَّة الناشئة بكونها حراكٌ طائفي يُهدِّد الأقليات، فعَمِلَ على تطييفِ الصراعِ عبر تسليح الأقليات المحليَّة وتوفيرِ الدعم الأساسي من طرف حُلفائه الإقليميّين: إيران وحزب الله.[1] فقد كانت سوريا، لفترة طويلة من الزمن، وحتى الآن، الحليف الاستراتيجي الرئيسي لإيران، وكان لها دور أساسي في إمداد ودعم وكيله في لبنان «حزب الله».

أدى تطور الصراع في سوريا عشيَّةَ اندلاع احتجاجات ٢٠١١، إلى تبلور «مفهوم سوريا المفيدة»،[I] وتم تأطير هذه المرحلة كأداةٍ مِن

(I) في عام ٢٠١٥، طرحَ بشّار الأسد في إحدى مقابلاته مفهوم «سوريا المفيدة» حيث قال: «إنَّ الضرورات المَيدانيَّة تفرضُ التركيز على مناطقَ أكثر أهميَّة على حساب أخرى دونها قيمة» والمقصود جغرافيًّا بسوريا المفيدة هي المحافظات الست التالية: دمشق وريفها، حمص، حماه، اللاذقيَّة وطرطوس. من المهم التذكير بإجابة لقمان سليم خلال مقابلةٍ على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٩ أيلول ٢٠١٥

جُملـةِ أدواتِ تحقيـقِ استراتيجيَّـة السُّلطة السـوريَّة وحلفائهـا، التي تسـعى للحفاظ علـى وجودهـا عبـر تأميـن «سـوريا المفيـدة». ارتكـزتْ هـذه الاسـتراتيجيَّةُ علـى السـيطرة علـى المـدن الكبـرى، لا سِـيَّما فـي وسـط سـوريا (حمـص ودمشـق) وإبعـاد المعارضـة المُسـلحة نحـو مناطق الشـمال السـوري.[٢]

ويمكـن تسـجيل بَـدء هـذه المرحلـة مـع حَملـة «حـزب اللـه» والجيـش السـوري علـى مدينـة القُصيـر فـي أيـار ٢٠١٣، التي هدَفتْ بشـكلٍ أساسـي إلـى قطـعِ خُطـوط الإمـداد عـن المعارضـة المسـلحة، وتطويـق مدينـة حمـص وإنهـاء المعارضـة فيهـا، بعـد فشـل المحـاولات المُتكررة للسـيطرة عليهـا.

اعتمـدت السـلطةُ السـوريَّة أسـلوبَ الاتفاقيـات المحليَّـة مـع المُـدن والأحيـاء المُحاصَـرة، لإجبـار السُّـكان المحليّيـن المعارضيـن علـى تـرك منازلهـم، والنـزوحِ منهـا إلـى المناطـق التـي تُسـيطر عليهـا المعارضـة.

---

حيث قال في حينه: «إنَّ مفهوم سوريا المفيدة لا يمكن أن يشرحَ خارج السؤال، المفيدة أولًا لمَن والمفيدة لماذا؟! نرى بأنَّها المنطقة التي تمتدُّ من الغرب الشمالي من سوريا أي من لبنان تقريبًا إلى لواء إسكندرون شمالًا، وهي منطقة تتمتع بتجانُسٍ طائفي ومذهبي أكثر من باقي المناطق». لمشاهدة المقابلة كاملة، مفهوم «سوريا المفيدة» وتطبيقاته، موقع **الجزيرة**، تاريخ الدخول: ١٠ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ١٠:١٢.

وفي العام ٢٠١٦، مرَّر النظامُ اتفاقيات، مع مدينة داريّا، وأحياء الوعر في حمص، وأحياء شرق حلب، بعد أن عانتْ جميعُها من الحصار والقصف، بهدف نَقلِ السُّكان والمقاتلين إلى محافظة إدلب التي تُسيطر عليها عسكريًّا قواتُ المعارضة المسلحة وبشكلٍ أساسي «هيئة تحرير الشام».[٣] استُكمِل هذا السيناريو في العام ٢٠١٧، من خلال الاتفاقيَّة التي عُقِدَتْ بين الحركات الإسلاميَّة السوريَّة المُقاتلة المُتمثِّلة بـ«هيئة تحرير الشام» و«حركة أحرار الشام» من جهة، والجيش السوري وحزب الله والجانب الإيراني من جهة أخرى، والتي غطَّتْ أربعَ مُدنٍ مُحاصرة وأُطلِق عليها اتفاقُ «المدن الأربع»[I] ونصَّ على أنَّ حوالى ٣٨٠٠ شخص، بمَن فيهم مُقاتلي المعارضة، يمكنهم ترك مدينة الزبداني مضايا والتوجه نحو محافظة إدلب، في حين أنَّ ٨٠٠٠ شخص، بمن فيهم مُقاتلي الميليشيات المُوالية للنظام، يمكنهم تركُ مدينتَي كفريا والفوعة في ريف إدلب الشمالي للتوجُّهِ نحو حلب ومناطقَ أخرى يُسيطر عليها النظام.[٤] وقد هدفتْ هذه الصفقةُ إلى القضاء على آخرِ مراكز المعارضة النَّشِطَة في القلمون الغربي، وتأمين كاملِ الحدود اللبنانيَّة تقريبًا لمصلحة النظام السوري وحلفائه.[٥]

في نهاية نيسان ٢٠١٧، قامت دمشقُ بتَوطينِ بعض المقاتلين مع عائلاتهم، مِمَّن تركوا الفوعة وكفريا بناءً على اتفاق «المدن الأربع»، في القُصير، إحدى بلدات محافظة حمص. في حين تم تهجيرُ معظم القرى والبلدات حول القُصير، فيما تحولتِ البلدةُ بحَدِّ ذاتها إلى ثُكنات

(I) المقصود بالمدن الأربع هي مدينتي مضايا والزبداني في ريف دمشق، معظم سكانهما من السُّنة. ومدينتي كفريا والفوعة في ريف إدلب، معظم سكانهما من الشيعة. لمزيد من الاطلاع: انظر/ي: بدء تنفيذ اتفاق المدن الأربع، موقع **المدن**، نيسان ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ٢٠ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١١:٤٢.

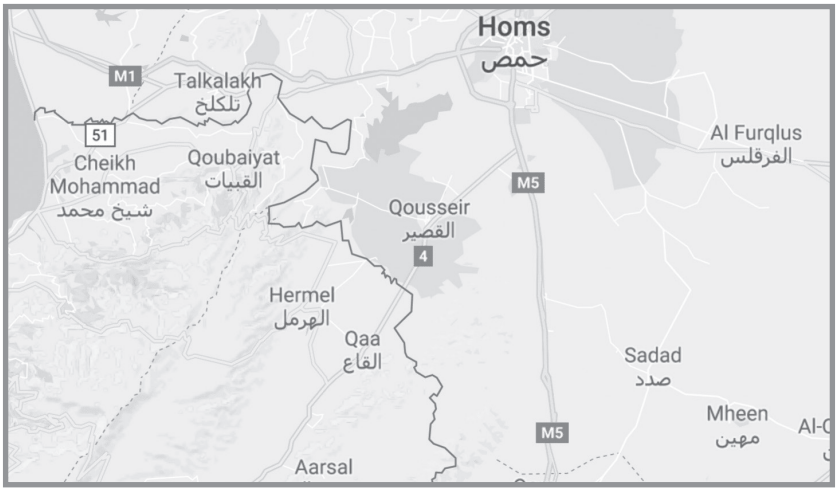


خريطة تظهر موقع منطقة القصير

ومراكز تدريبٍ عسكريَّة لمختلف الميليشيات الإسلاميَّة الشِّيعيَّة، بما فيها «قوات الرضا»، التي تمتلك نفوذًا وتأثيرًا، وهي ميليشيا شيعيَّة سوريَّة تم تأسيسها عام ٢٠١٤ بمُساعدةٍ من حزب الله.[٦]

بحسب دراسة قام بها الباحث خافيير غونزاليز (اسم مستعار) واردة في كتاب Reclaiming Home فإن عددَ سُكان القُصير وضواحيها عام ٢٠١٤ بحوالى ١٣٨٠٠٠ نسمة، منهم ٧٧٠٠٠ نَزحوا عن المدينة، وحتى عام ٢٠١١ كان يعيش في المدينة ذاتِ الغالبيَّة السُّنيَّة وريفها العديدُ من المجتمعات الدّينيَّة.[٧] وبعد سيطرة القواتِ الحكوميَّة وحُلفائها على المدينة في حزيران ٢٠١٣، فَرَّ أنصارُ المعارضة إلى أجزاء أخرى من بلداتِ القلمون كانت تحت سيطرة قوات المُعارضة، في حين خرجَ قسمٌ كبير من الأهالي إلى لبنان. وقد فرضتِ السلطاتُ السوريَّةُ شروطًا مُتباينة للعودة، ففي حين سُمِحَ للأقليات الدّينيَّة بالعودة مباشرةً، فإنَّ الأُسَرَ السُّنيَّةَ رأتْ أنَّ وصولَها مُقيَّدٌ جدًّا وأنَّ عودتَها النهائيَّة محظورة. وحتى الآن يُواجه الرجال والشبان

خَطرَ التعرضِ للاعتقالات التعسُّفِيَّة والملاحقات الأمنيَّة وطلب الخدمة العسكريَّة، وقد سُمِحَ للنساء بالعودة، ولكن غيابَ البيئة الآمنة ما زال يجعل الحديثَ عن أيِّ عودةٍ طَوعيَّةٍ وآمنةٍ ومستقرة بعيد المنال، وهذا يرتبط بشكلٍ أساسيٍّ بالهندسة الديموغرافيَّة وفق رؤية القوى المسيطرة على المنطقة.[٨]

كشفتْ معركةُ القُصير بوضوحٍ توغُّلَ حزب الله في الأزمة السوريَّة، وانخراطَه العسكري فيها، وقد أسهمَ دخوله المباشر في العمليات القِتاليَّة في إذكاء الاستِقطاب الطائفيِّ في سوريا، وأضفى على الصراع بُعدًا دينيًّا ومذهبيًّا.[٩] لعبَ حزبُ الله دورًا رئيسيًّا في عدم إعادة أهل المدينة إليها، ويرتبط ذلك بشكلٍ رئيسي بأهميَّة القُصير الاستراتيجيّة؛ كونها تَبعدُ نحو عشرةِ كيلومتراتٍ فقط عن العُقدة التي تتلاقى فيها معظمُ الطُّرقِ الدوليَّة البريَّة داخل سوريا، وفوق ذلك تُهدِّد مناطقَ نفوذ حزب الله العسكري والأمني في منطقة الهرمل. بالتالي، يخشى الحزبُ من تجدد النشاط المُعارِض مع عودة أهالي المنطقة إلى المدينة التي يريد أن يُؤمِّن من خلالها خطوطَ إمداده مع لبنان ودعم نفوذه العسكري في سوريا. وبحسب الناشط الإعلامي المعارض أبو الهدى الحمصي، بحسب تقريرٍ لموقع عنب بلدي، فإنَّ لحزب الله وجودًا قديمًا في المنطقة يتمثلُ في السوريّين الذين يَحمِلون الجنسيَّةَ اللبنانيَّة، ويعيشون في عددٍ من قُرى القُصير الواقعة غربي نهر العاصي، مثل الديابيَّة، والبرهانيَّة، وسفرجة، وحاويك، والمصريَّة، والعقربيَّة، والصفصافة، وزيتا، الذين ساندوا حملتَه العسكريَّة التي شَنَّها للسيطرة على هذه القرى، وهو يستولي عليها الآن استيلاءً كاملًا.[١٠]

تكمن أهميَّة هذا البحث في أنَّه، وبعد بعد مرور حوالى تسع سنواتٍ على سيطرة القوات النِّظاميَّة السوريَّة وحليفها «حزب الله» على

منطقة القْصير، ما زالت الكلمةُ العليا في المنطقة ل«حزب الله» الذي يعملُ ضمن الاستراتيجيَّة الكبرى لحليفه الإيراني في سوريا، وتتمتعُ القْصير فيها بأهميَّةٍ خاصةٍ بحُكم موقعها الجغرافي المتميز، كما أنَّه يَستثمِرُ سيطرتَه في المناطقِ الحُدوديَّة مع لبنانَ لدعمِ اقتصاده عبر التهريب. ومازال يُعرقِلُ عودةَ اللاجئين السوريّين بشكلٍ آمنٍ ومُستقرٍّ إلى مدينة القْصير وريفها، فإلى جانب سياسات السلطة السوريَّة التي تُعيق عودةَ اللاجئين من خلال استمرار النهج الأمني المُتمثِّل في الاعتقالات التعسُّفِيَّة والسّوق للخدمة العسكريَّة، فضلًا عن السيطرة على الممتلكات والأراضي والهَشاشة الاقتصاديَّة ونقص الخدمات، فإنَّ لِلقْصير خصوصيَّة كبيرة تجعل العودةَ إليها تخضعُ لحساباتٍ مُعقَّدة ترتبط بشكلٍ أساسيٍّ بعمليَّة التغيير الديموغرافي. ومن هنا، فإنَّ الإشكاليَّةَ الرئيسيَّة لهذا البحث تَكمنُ في الإجابة عن سؤال: ما هو تأثير السياسات التي يَتبعُها «حزب الله» في إحكام سيطرته على منطقة القْصير في ضوء الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة في سوريا؟ والإجابة على هذا السؤال الرئيسي تتطلبُ الإجابة على جملةٍ من الأسئلة المتفرعة عنه:

- ما الأهميَّة السياسيَّة والاقتصاديَّة والأمنيَّة لمنطقة القْصير؟

- ما هي التغيرات التي طرأتْ على أنماطِ الاقتصاد المحليِّ في القْصير؟

- من هي الأطرافُ الفاعلةُ التي تُسيطر فِعليًّا على القْصير (أمنيًّا، عسكريًّا، اقتصاديًّا)؟

- ما مدى نجاح سياسة التغيير الديموغرافي التي يَتبعها «حزب الله» للسيطرة على القْصير؟

- كيف تتسق هذه السياسة مع سياسة إيران في تعزيز نفوذها في سوريا؟

- ماهي حدود التنافس والتوافق بين القُوَى الفاعلة في سوريا حول منطقة القْصير؟

أمّا عن مَنهجيَّة هذا البحث، فإنَّه سيَعتمدُ على منهجٍ تاريخي يدرس التغيُّرَ الذي طرأَ على التركيبة السكانيَّة في منطقة القْصير والتغير في مرتكزاتِ الاقتصاد المحلي. إلى جانب منهجٍ استِقرائي يهدف إلى فَهمِ النهج الذي يَتبعُه «حزب الله» لتَعزيز سيطرته على منطقة القْصير، وموقع هذا النهج في الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة في سوريا، والوقوف على موقفِ السُّلطات السوريَّة وحليفها الروسي من هذه الاستراتيجيَّة؛ من خلال دراسة التقارير والأبحاث السابقة، والمعلومات المنشورة في وسائل الإعلام والمواقع الإلكترونيَّة.

كما ستعتمد الدراسةُ على مجموعةٍ من المقابلات الفرديَّة، بهدف الربط بين نتائج تحليل المقابلات، ومُقابلتها مع نتائج تحليل المعلومات التي تمَّ جمعُها من المراجعات النظريَّة. وسيتم تنفيذها ضمن مستويَين أساسِيَّين:

- المستوى الأول: اللاجئين والعائدين والنازحين من منطقة القْصير؛ للوقوف على الأوضاع الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة وأهم التحديات التي تمنعُ عودتَهم إلى مناطقهم، ربطًا بسياسات القُوى المسيطرة في القْصير.

- المستوى الثاني: ناشطين، رجال دين، وُجَهاء، موظفي بلديَّة، مأموري نفوس، مخاتير؛ لفَهم حقيقة سياسات التغيير الديموغرافي وكيفيَّة تَطبيقها ومدى تأثيرها، والتغيير في التوزع الديموغرافي في القْصير.

# الهوامش

(١) خافيير غونزالز، الأرض والسكن والاحتلال والتدمير في مناطق استراتيجيَّة: حالة القُصير في سورية، موقع **مركز حرمون**، ٣٠ تموز ٢٠٢٠، من مجلّد **استعادة المنزل**، مؤسّسة فريدريش إيبرت، ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٢١ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٨:٢٥؛ والدراسة المترجمة هي الفصل الرابع من كتاب Reclaiming Home وهو عبارة عن مجموعة من الدراسات وقد صدر برعاية مؤسسة فريدريش ايبرت الألمانية.

(٢) فادي عادلة وأنييس فافييه، اتفاقيات المصالحة المحليَّة في سوريا: سلام مُجهض منذ البداية، تقرير بحثي، موقع **معهد الجامعة الأوروبيَّة**، حزيران ٢٠١٧. تاريخ الدخول: ١١ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ٩:٢٥.

(٣) استراتيجيات التغيير الديمغرافي في سورية، موقع **الجزيرة**، ١ حزيران ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ١٣ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ١٢:٢٠.

(٤) Shobassi, Mays, Timeline: Syria's 12 "people evacuation" deals, **al-Jazeera English**, 16 May 2017, entry date: 26 February 2023, entry hour: 8:10.

(٥) قراءة في اتفاقيَّة المدن الأربع وأهميته بالنسبة لإيران، موقع **أورينت**، ٢٥ نيسان ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ١١ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٠:٠٠.

(٦) Zaman al-Wasl, "Militiamen of Shiite Villages Resettled in Qusayr Town: Source", **The Syrian Observer**, 27 April 2017, entry date: 6 March 2023, entry hour: 9:15.

(٧) خافيير غونزالز، الأرض والسكن والاحتلال والتدمير في مناطق استراتيجيَّة: حالة القُصير في سورية، مصدر سابق.

(٨) مقابلات ميدانيَّة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع لاجئين سوريّين في لبنان يتحدرون من مناطق القُصير.

(٩) معركة القُصير التداعيات والآثار، موقع **المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات**، ٢٣ أيار ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ١٠ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٦:١٠.

(١٠) نينار خليفة، القُصير في ظل هيمنة حزب الله تغير في واقع الملكيات العقاريَّة، موقع **عنب بلدي**، ١٠ أيلول ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٢، الساعة: ١٤:٢٣.

الفصل الأول

# الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة في سوريا

تطـورتِ العلاقـاتُ الإيرانيَّـة مـع النظـام السـوريِّ برئاسـة حافـظ الأسـد منـذ عـام ١٩٧٩، بعـد انتصـار الثـورة الإيرانيَّة الإسـلاميَّة ووصـولِ الخميني إلـى رأس السـلطة، حيـث لعبـتِ الظـروفُ الدوليَّـةُ آنـذاك دورًا هامًّـا فـي تَشـكُّل وتطـور هـذه العلاقـات. فـوُصول صدام حسـين إلى رأس السـلطة فـي العـراق وتـأزُّمُ الأوضـاع السياسـيَّة بيـن سـوريا والعـراق، ومـا تبعَهـا مـن صـراعِ طرفَـيِ البعـث، عوامـلُ دفعـتِ النظـامَ فـي سـوريا إلـى دعـم إيـران سياسـيًّا فـي حربهـا مـع الجـار العربـي. لقـد وجـدَ نظـامُ الأسـد فـي إيـران حليفًـا موثوقًـا علـى المـدى الاسـتراتيجي، وخاصـةً بسـبب التقـارب الدّينـي بيـن العلويِّيـن والشـيعة.[I] الـذي وجـدَ فيـه حافـظ الأسـد مُسـوِّغًا شـرعيًّا لحُكمـه، وهـو القـادم مـن أقليَّـةٍ طائفيَّـةٍ فـي بلـدٍ يَقطنُـه أكثريَّـةٌ مـن المسـلمين السُّـنَّة. هـذا بـدَوره، دفـع إيـران نحـو النظـام السـوري، فقـد شـكلتْ بنيتُـه الطائفيَّـة فرصـةً لا تُعـوَّض لبنـاء

(I) في أوائل السبعينيّات، أكدَت الشِّيعة الإماميَّة، بقيادة الإمام موسى الصدر رئيس المجلس الإسلامي الشِّيعي الأعلى، الوحدة المذهبيَّة للعلويّين مع الشيعة، واتخاذ خطوات لكسر طوق العزلة الذي فرضه الأعداء والمنحرفون على الأخوة العلويّين. للمزيد انظر/ي: حنا بطاطو، **فلاحو سوريا، أبناء وجهائهم الريفيّين الأقل شأنًا وسياساتهم**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤، بيروت، ترجمة عبدالله فاضل ورائد النقشبندي، ص ٥٩.

تحالـفٍ اسـتراتيجي، يَمنحُهـا دورًا إقليميًّـا وازنًـا عبـر الاسـتفادة مـن الموقـع الجيوسياسـي لسـوريا.

حافظـتِ العلاقـاتُ الإيرانيَّـة السـوريَّة علـى نـوعٍ مـن التـوازن والنِّـديَّة خـلال فتـرة حُكـم الرئيـس السـابق حافـظ الأسـد، إلا أنَّهـا بـدأتْ تأخـذ منحًـى متصاعـدًا مـع وصـول بشـار الأسـد إلـى السـلطة، وباتـت سـوريا حليفًـا أمينًـا لمصالـح إيـران الاسـتراتيجيَّة، وفَّـرتْ إمكانيَّـةَ وصـولٍ مريـحٍ إلـى أذرعهـا المُمتـدة فـي لبنـان وفلسـطين المحتلـة (حـزب اللـه اللبنانـي، حركـة حمـاس، حركـة الجهـاد الإسـلامي)، الأمـر الـذي مكنهـا مـن الإمسـاك بـأوراقٍ هامـة تُسـاوِم مـن خلالهـا الولايـات المتحـدة، وأضحـتْ فكـرةُ إنشـاء الهـلال الشِّـيعي التـي تحـدَّثَ عنهـا الملـكُ الأردني عبداللـه الثانـي واقعًـا بحكـم التمـدد الـذي وفرتـه تلـك العلاقـة بيـن إيـران وسـوريا.[I]

ومـع انـدلاع حـركات الربيـع العربـي فـي تونـس ومصـر وليبيـا، أعلنـتْ إيـران دعمَهـا لحَـقِّ الشـعوب العربيَّـة فـي التحـرر مـن الاسـتبداد

(I) في أواخر عام ٢٠٠٤، وبعد القضاء على نظام صدّام حسين، أكَّدَ عبدالله الثاني ملك الأردن خوفه من تشكيل هلال شيعي في منطقة الشرق الأوسط، من إيران إلى لبنان، وهو ما يوصف بالممر الإيراني. شكك العديد من المراقبين والباحثين في رؤية الملك عندها. انظر/ي:

Robin Wright and Peter Baker, Iraq, Jordan See Threat to Election from Iran, Washington Post, 8 December 2004, Date of Entry: 1 April 2023, Time of entry: 11:12.

ليعود العاهلُ الأردني بعد ما يزيد عن عقدٍ ونيف ويُحذِّر مجددًا من التواجد الإيراني في الجنوب السوري الذي قد يحصل على أثر الفراغ الذي تركته روسيا في تلك المنطقة. للمزيد انظر/ي:

MEMRI TV Videos, Jordan's King Abdullah II: Russia's Withdrawal from Southern Syria Is Creating a Vacuum, 23 May 2022, Date of Entry: 1 April 2023, Time of entry: 11:20.

والتطلع إلى الحريَّة[I] وما أسمَته بـ«الديمقراطيَّة الإسلاميَّة»،[II] لكن الموقفَ الإيراني تبدَّلَ مع وصول الربيع العربي إلى سوريا. وبات الربيع ـ من وجهة نظرها ـ خريفًا أوروبيًّا وأمريكيًّا وإسرائيليًّا، هدفه الأساسي التآمر على دولة المقاومة والمُمانعة.[1] وقدمتْ إيران دعمًا غير محدودٍ لبقاء الرئيس السوري بشار الأسد في السلطة وشاركتْ في دعم النظام السوري بمختلف الوسائل.

### ١) الوجود العسكري الإيراني بعد ٢٠١١

شكلَ تضَعضُعُ الجيش السوري، بعد زَجِّه في قمع الاحتجاجات السِّلمِيَّة، وتطور الأزمة نحو نزاعٍ مُسلَّح بفِعل استخدام النظام للقوة المُفرِطة في القضاء على هذه الاحتجاجات، فرصةً تاريخيَّة للهَيمنة الإيرانيَّة العسكريَّة على سوريا، فدخلتِ الميليشياتُ الشِّيعيَّة لمُواجهة المعارضة المسلحة التي استقطبَتْ عشراتِ الألوف من أبناء الأرياف والضواحي السُّنِّيَّة. وبدأ حضورُ الميليشيات الشِّيعيَّة الأجنبيَّة لدعم النظام في سوريا عام ٢٠١٢، بعد نحوِ عامٍ من بَدء الثورة السوريَّة، وقامتْ إيران بتَنظيم استقدامِ هذه الميليشيات من كُلٍّ من العراق،

(I) بعد أن كانت إيران قد عبَّرت عن تأييدٍ حَذر لثَورتي تونس ومصر في بدايتهما، تحول هذا الموقف إلى التأييد الصريح لثورة البلدين بعد نجاحهما، وأبدت طهران تأييدا ضمنيًّا لثورة الليبيّين ضد معمر القذافي ورفضت في الوقت نفسه أيَّ تدخلٍ عسكري غربي في ليبيا. للمزيد انظر/ي: إيران.. موقف حذر من الثورات، ١٦ آذار ٢٠١١، موقع **الجزيرة**، تاريخ الدخول: ١٠ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٨:٢٠.

(II) بعد تأكيد انتصار الثورة، قال الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد إنَّ الشعبَ التونسي أسقط الديكتاتوريَّة بشعارات إسلاميَّة مطالبة بالعدالة. ودعا الغرب، خاصة أميركا وإسرائيل، إلى عدم التدخُّل في الشؤون التونسيَّة، مؤكدًا أنَّ الشعب التونسي يسعى إلى إقامة الأحكام الإسلاميَّة ولن يستسلم مرةً أخرى للغرب. للمزيد انظر/ي: رشيد يلوح، **إيران والثورتان التونسيَّة والمصريَّة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٣ نيسان ٢٠١١، تاريخ الدخول: ٢٩ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ١٠:٣٠.

شعارات بعض الميليشيات الإيرانية في سوريا: حيدريون، زينبيون، حزب الله – سوريا، فاطميون

وإيـران، ولبنـان بالدرجـة الأولـى، ثـمَّ اليمـن، وأفغانسـتان، وباكسـتان، وبعـض الـدول الآسـيويَّة التـي يتواجـد فيهـا الشِّـيعة،[٢] الأمـر الـذي وفَّـر لإيـران فرصـةَ تنفيـذِ سياسـاتها دون الاضطـرار لإرسـال قـواتٍ رسـميَّة للخـارج.[I] وبنـاءً علـى ذلـك، تـم تشـكيلُ مجموعـةٍ مـن الميليشـيات للقتـال إلـى جانـب النظـام السـوري،[٣] منهـا:

لـواء زَينَـبِـيُّون، لـواء حَيدَرِيُّـون، لـواء فاطِمِيُّـون. بالإضافـة إلـى «حـزب اللـه» اللبنانـي و«حـزب اللـه» السـوري الذي يتألـفُ مـن مُقاتليـن تـم اسـتِقطابُهم مـن دمشـق ونُبُّـل والزهـراء الشِّـيعيتَين، والسـوريّين الذيـن عمـل «حـزب اللـه» (لبنـان) علـى تجنيدهـم للعمـل تحـت قيادتـه.

للوقوف على تفاصيل هذه الأولِوِيَة، تم إعدادُ الجدول التالي:

(I) في تصريح للجنرال فلكي أحد قادة الحرس الثوري الإيراني: إنَّ تشكيلَ (جيش التحرير الشِّيعي) أو (جيش التحرير) سيوفر لإيران فرصة تنفيذ سياساتها دون الاضطرار لإرسال قوّاتٍ رسميَّة للخارج، إذ «ليس من العقلانيَّة الزج بالقوات الإيرانيَّة في صراعات خارج حدود إيران». انظر/ي: إيران تؤسس جيشًا شيعيًّا للقتال في بلدان عربيَّة، موقع **الجزيرة**، ١٩ آب ٢٠١٦، تاريخ الدخول: ١١ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ٢٠:١٩.

| اسم اللواء | البلد الأصل للمُقاتـلين | التابعِـيَّة العسكريَّة | الوصف |
|---|---|---|---|
| زَينَبِـيُّون | باكستان | بدأتْ مشاركتُهم العسكريَّة في سوريا في عام ٢٠١٣ ضمن لواء فاطِميون، لكن بعد تزايد الأعداد تم تشكيلُ لواءٍ خاصٍّ بهم.[٤] | حركةٌ جهاديَّة باكستانيَّة شِيعيَّة من قَومِيَّة الهَزارَة الأفغانيَّة، نزح أعدادٌ منهم إلى باكستان خلال الحروب الأفغانيَّة.[٥] |
| حَيدَرِيُّون | العراق | بدأت الميليشياتُ العراقيَّة عمومًا تظهر في سوريا في نهاية عام ٢٠١٢،[٦] لواء الحيدريون يتبعُ حركةَ النجباء العراقيَّة التي تتبع الحرسَ الثوري الإيراني.[٧] | حركة النجباء هي مليشيا عراقيَّة شِيعيَّة تعمل في محيط بغداد برعاية إيران، وعلى رأسها الشيخ أكرم عباس الكعبي.[٨] |
| فاطِميون | أفغانستان | قاتل بعض قادة لواء «فاطميون» إلى جانب إيران في لواء «أبو ذر» خلال الحرب العراقيَّة الإيرانيَّة ١٩٨٠-١٩٨٨ وإلى جانب الأفغان في جيش محمد خلال الحرب السوفيتيَّة الأفغانيَّة ١٩٧٩-١٩٨٩.[٩] | حركةٌ أفغانيَّة شِيعيَّة تأسستْ عام ٢٠١٢[١٠] وقد شاركتْ إلى جانب جيش النظام السوري في معاركه.[١١] |
| «حزب الله» | سوريا | في أيار ٢٠١٤ أعلن العميد حسين همداني قائد قوات «الحرس الثوري الإسلامي» في سوريا أنَّ إيران قد أنشأتْ «حزب الله» في سوريا.[١٢] | ميليشياتٌ سوريَّةٌ مختلفة اتَّـخذتْ في بداية عام ٢٠١٤ اسم «حزب الله» في سوريا.<br>أهم هذه الميليشيات: الغالبون، سرايا المقاومة الإسلاميَّة في سوريا، قوات الرضا.. إلخ.[١٣] |

أمّـا الجـدولُ التالـي، فيُظهِـر المراكـزَ الأساسـيَّة للنفـوذ الإيرانـي فـي سـوريا:

| أهم القواعد الإيرانيَّة في سوريا | | | | |
|---|---|---|---|---|
| **المنطقة** | **اسم القاعدة** | **بداية الاستخدام من قِبل إيران** | **الميليشيات التابعة للقاعدة/ استخدامات القاعدة** | **الوصف** |
| الشماليَّة | قاعدة جبل عزّان/ حلب | ٢٠١٥ | ١- «حزب الله» اللبناني<br>٢- حركة النجباء العراقيَّة<br>٣- لواء فاطِميّون الأفغاني<br>٤- لواء القدس الفلسطيني[I] | تُشرِف على العمليّات العسكريَّة في حلب ومُحيطها. |

(I) تأسس في عام ٢٠١٣، ويتشكل اللواء الذي يتلقى دعمه حاليًّا من روسيا بعد توقف الدعم الإيراني من ثلاث كتائب مسلّحة بكافة الأسلحة الخفيفة والمتوسّطة والثقيلة، ويقدر عدده بحسب تقارير غير رسميَّة بأكثر من (٧٠٠٠) عنصر، ويضم هذا اللواء لاجئين فلسطينيّين من مخيّمات النيرب وحندرات والرمل وغيرهم. انظر/ي: لواء القدس في سورية زيف التسمية وحقيقة الدور، موقع **مجموعة العمل من أجل فلسطينيِّـي سورية**، ١٢ آذار ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢١ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ٩:١٠.

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الوسطى والساحل | ١- قاعدة الشعيرات الجويَّة | ٢٠٢١ | | تحوي طائراتٍ مُسيَّرة وطائراتٍ حَربيَّة. تُستخدَم القاعدةُ للتدريب على الأسلحة المتوسطة والثقيلة وتُعتبر قاعدةَ عمليّاتٍ أماميَّةً لدعم الميليشيات الموجودة في جميع أنحاء المنطقة الوسطى في سوريا. |
| | ٢- قاعدة القُصير | ٢٠١٤ | «حزب الله» اللبناني | مركز تدريب عسكري وارتباط ونقطة اتصال مع القوات الإيرانيَّة. |
| | ٣- مطار التياس أو التيفور | بعد عام ٢٠٢٠ | خبراء إيرانيون | قاعدةٌ رئيسيَّة لتَصنيع وتطوير الطائرات المُسيَّرة عبر خبراء إيرانيّين ضليعين في هذا المجال، والمقر الرئيسي لعمليّات الجيش الإيراني داخل سوريا بعد استهداف القوات الجويَّة الإسرائيليَّة للمقرِّ القديم في «البيت الزجاجي» أو ما يعرف بـ«Glass House» بالقرب من مطار دمشق الدولي. ويحتوي على مستودعات كبيرة للأسلحة. |
| | ٤- قاعدة جبل زين العابدين | | الحرس الثوري الإيراني | غرفة عمليّات رئيسيَّة للحرس الثوري الإيراني. ويحوي المكان قاعدةَ استطلاعٍ وتشويشٍ إلكتروني على الاتصالات في المنطقة، ومقر قيادة عمليّات اللواء ٩٩ دفاع جوي. |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الوسطى والساحل | ٥- قاعدة مصياف | | | تحتوي هذه القاعدةُ على مركزٍ رئيسي لتَطوير وتصنيع الأسلحة التقليديَّة كالبراميل المتفجرة، والأسلحة غير التقليديَّة كالأسلحة الجرثوميَّة والكيماويَّة. |
| المنطقة الجنوبيَّة | ١- قاعدة مطار السين العسكري | ٢٠١٧ | ١- القوّات الجعفريَّة الإيرانيَّة<br>٢- «حزب الله» اللبناني<br>٣- ميليشيا الباقر السوريَّة<br>٤- لواء فاطميّون الأفغاني<br>٥- ميليشيات عراقيَّة مثل (سيد الشهداء، أبو الفضل العباس، حركة الأبدال) | الإشراف على عمل الميليشيات المذكورة في المنطقة الجنوبيَّة.<br>تبعد قاعدةُ مطار السين عن قاعدة التنف الأمريكيَّة حوالى ١٨٥ كم.<br>أمّا قاعدةُ الكسوة فتُعتـبَر مركز عمليّات رئيسي للمحافظات الجنوبيَّة، كما أنَّها تحتوي على مخابئ تحت الأرض. |
| | ٢- قاعدة الكسوة | | | |
| | ٣- البيت الزجاجي أو«Glass House» | ٢٠١٤ | الحرس الثوري الإيراني | تمَّ بناؤه في الأصل كفندقٍ لخدمة مطار دمشق الدولي المجاور له، لكن في عام ٢٠١٤، بدأ العمل فيه كمقر رئيسي للقوات الإيرانيَّة في سوريا. |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| المنطقة الشرقيَّة | قاعدة الإمام علي/دير الزور/ البوكمال | ٢٠١٨ | ١- فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني<br>٢- ميليشيا فاطميّون | تُعتبر من أكبر القواعد العسكريَّة الإيرانيَّة في سوريا، تحتوي على مستودعاتِ سلاحٍ ضخمة، مستودعات صواريخ بعيدة المدى، أجهزة رصد ومراقبة. |

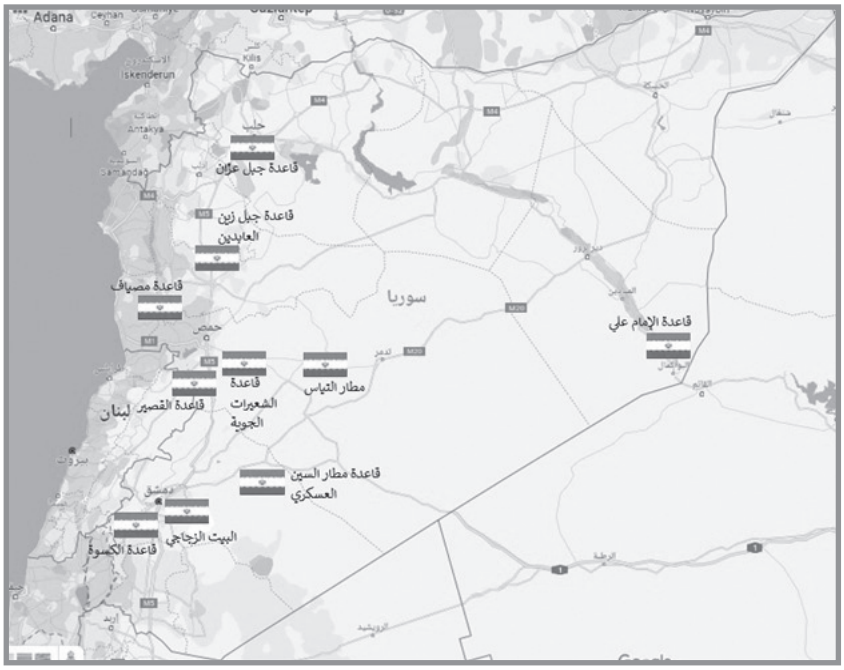


الشـكل (١) خريطـةٌ مـن إعـداد الباحثيـن تُظهِـر تـوزعَ أهـمِّ القواعـد الإيرانيَّة في سوريا [I]

(I) Rasha Elass, IRAN'S MILITARY ASSETS INSIDE SYRIA, 18 October 2020; Gareth Browne, The national, The Glass House: The Damascus office block housing Iran's top brass in Syria, 3 June 2020؛ **المنار**، الجيش السوري يتقدّم شرق مطار السين بريف دمشق، ٤ شباط ٢٠١٧؛ **الجزيرة**، مواقع عسكريَّة سوريَّة مُستهدفة بضربة أميركيَّة مرتقبة، ١٢ نيسان

## ٢) التغلغلُ الإيراني في المجتمع السوري

كما أسلفنا سابقًا، مرَّ الوجودُ والتمددُ الإيراني في المجتمع السوري بثلاثِ مراحلَ مِفصلِيَّة: مرحلة حُكم الرئيس السابق حافظ الأسد، ومرحلة وصول بشار الأسد إلى السلطة، ومرحلة ما بعد الحراك السوري ٢٠١١.

### أ- مرحلة حُكم الرئيس السابق حافظ الأسد

كان حافظ الأسد من الطائفةِ العلَويَّة، وهي أقليَّةٌ لا تزيد نِسبتُها عن ٩٪ من مجموع السُّكان في سوريا، وكان يُنظَر إليها من قِبل الأكثريَّة السُّنِّيَّة على أنَّها طائفةٌ خارجةٌ عن إجماع المسلمين. عمل الأسدُ على إحداث تقارُبٍ بين العلويِّين والشِّيعة، وتعاونَ مع رئيس المجلس الإسلاميِّ الشِّيعيِّ الأعلى السيّد موسى الصدر الذي زار سوريا والْتقى مشايخَ العلويِّين في جبال اللاذقيَّة، كما صدرتْ فتوى من المرجع آية الله الشيرازي تَقضي بأنَّ العلويِّين مُسلمون يَنتسبون إلى المذهب الشِّيعي الاثني عشري.[١٤]

وسهَّل الأسدُ عملَ الجمعيّات الشِّيعيَّة، كجمعيَّة المرتضى التي افتَتحَتْ بإيعازٍ منه وبدعمٍ ماليٍّ من إيران، فروعًا لها في معظم المناطق السوريَّة، مُتخذةً من العمل الخيري والخدمة المُجتمعيَّة

---

٢٠١٨؛ **العربيَّة**، معركة البادية.. قاعدة روسيَّة جديدة ومطار «السين» لإيران، ٢٠ أيار ٢٠٢٠؛ **مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيَّة**، مصدر عسكري إسرائيلي: إيران استخدمت مؤخرًا قاعدة الشعيرات الجويَّة السوريَّة؛ عدنان أحمد، **المدن**، لماذا مطار «التيفور» السوري هدف دائم للضربات الإسرائيليَّة، ٩ تشرين الأول ٢٠٢١؛ رائد جبر، **الشرق الأوسط**، أنباء عن «تفاهم» روسي ـ إيراني يفضي إلى إخلاء مطار التيفور، ٢٣ تشرين الثاني ٢٠٢١؛ يزن شهداوي، **المدن**، الحرس الثوري يخلي حماة... ويسلم مركزه وعناصره للنظام، ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٢١؛ **العربيَّة**، إيران توسع نفوذها عسكريًّا... وحماة الوجهة الجديدة، ١٦ نيسان ٢٠٢٢؛ المجلس العسكري السوري، ٢٣ آذار ٢٠٢٢.

وسيلةً لجَذبِ الطبقة المحتاجة من السوريِّين. كما قام بدعوة العالِم الشِّيعي البارز محمد حسين فضل الله لافتتاح مكتبٍ تمثيلٍ له في حي السيّدة زينب بدمشق.[١٥]

**ب- مرحلة وصول بشار الأسد للسُّلطة ٢٠٠٠-٢٠١١**

شهدتِ السنواتُ الأولى لحُكم بشار الأسد حملاتِ تَشيُّعٍ في سوريا، قادَتها السفارةُ الإيرانيَّة في دمشق ومُلحَقِيَّتُها الثقافيَّة في حلب، مستفيدةً من التسهيلات المَمنوحة لها من الحكومة السوريَّة، والتي سمحتْ لها ببِناء مشفًى مجانيٍّ وترخيصِ جمعيّاتٍ خيريَّة ساهمَتْ في تقريب الفكر الشِّيعي من العامَّة عبر التقديمات الاجتماعيَّة والمساعدات.[١٦] وكانت علاقةُ الأسد الابن تتزايد بالإيرانيِّين، الذين استثمروا العلاقةَ القويَّةَ التي تربطُهم بالرئيس الجديد؛ فتحصَّلوا على مُوافقاتٍ أمنيَّة بتسهيلاتٍ غير اعتياديَّة لإقامة الحَوزات العِلميَّة والحُسَينِيَّات، حيث أُنشأ ما بين عام ٢٠٠١ وعام ٢٠٠٦ في قرية السيّدة زينب أكثر من اثنتي عشرة حوزة شيعيَّة وثلاث كليّات للتعليم الدّيني الشِّيعي. وحصلتْ أولُ جامعةٍ إسلاميَّة شيعيَّة مُتخصِّصة بالعلوم الدّينيَّة على ترخيصٍ أمنيٍّ للعمَل داخل الجمهوريَّة العربيَّة السوريَّة في عام ٢٠٠٣.[١٧] وبحسب ما تنقلُ الباحثةُ سوسن مهنا عن موقع Iranwire أنَّه كانت هناك قبل الثورة السوريَّة «أكثر من ٤٠ مدرسةً إيرانيَّةً خاصَّة في دمشق وحدها، مُنتشرةً في مناطق التجمُّعات الشِّيعيَّة، وشملتْ هذه المدارسُ حوالى عشرَ مدارس ثانويَّة تابعة لوزارة الأوقاف الدّينيَّة مُعترَف بها من قِبل وزارة التربيَّة والتعليم في دمشق وحلب واللاذقيَّة وإدلب ودير الزور، وأشهرها مدرسة المحسنيَّة التي يُشرِف عليها عبدالله نزام، وتقوم المدرسةُ بوَعظِ الطلاب السُّنة وتُوفِّر التسهيلات الماليَّة لأولئك الذين يَتحوَّلون إلى المذهب الشِّيعي».[١٨]

تمـددَ النفـوذُ الإيرانـي إلـى مناطـق الشـمال والشـمال الشـرقي، حيـث اسـتطاع التأثيـرَ علـى بعـض شـيوخ العشـائر مـن خـلال الأمـوال والعطايـا مقابـل سَـيرهم فـي ركـب التوجُّهـات الإيرانيَّـة؛ مسـتغلة قـوة العامِـل القَبَـلِي ورمزيَّـة شـيخ العشـيرة ونفـوذه وتأثيـره الكبيـر علـى أبنـاء عشـيرته. فبُنِـيَتِ الحُسَـينيّاتُ فـي ديـر الـزور والرقـة وأريافهمـا، وأصبحَـتْ مقصـدًا لحمـلاتِ تَشيِـيعٍ مُستَـترة بقنـاع العمـل الخيـري. كما قـام الأسـدُ بتَعيِـين شـخصيّاتٍ شـيعيَّة فـي مناصـبَ مرموقـة[١٩] كوزيـر الإعـلام (مهـدي دخـل اللـه)،[I] ورئيـس مكتـب الأمـن القومـي (هشـام بختيـار).[II]

### ج- مرحلة ما بعد الثورة السوريَّة عام ٢٠١١

اسـتغلَّ الإيرانيـون وجودَهـم العسـكري بعـد ٢٠١١، وحاجـةَ نظـامِ دمشـق للدَّعـم الإيرانـي مـن أجـل البقـاء فـي السـلطة؛ لـتَعزيز وُجودهـم الاجتماعـي والثقافـي والدّينـي. وفـي عـام ٢٠١٢، تـم تأسـيسُ المجلـسِ الإسـلامي الجعفـري فـي سـوريا،[٢٠] ومـن ضمـن الأهـداف

شعار المجلس الإسلامي الجعفري الأعلى في سوريا

(I) مهدي دخل الله سياسي ودبلوماسي في حزب البعث السوري، عمل في مناصب مختلفة بما في ذلك رئيس تحرير ووزير إعلام وسفير.

(II) هشام بختيار هو سياسي ولواء سوري كان يشغل منصب رئيس مكتب الأمن القومي في حزب البعث السوري الحاكم، وكان عضوًا في اللجنة المركزيَّة والقيادة القطريَّة للحزب. كما شغل منصب مدير إدارة المخابرات العامّة (أمن الدولة، بين ٢٠٠١ و٢٠٠٥). كما عُيِّنَ في مناصب في الحزب في المؤتمر القطري العاشر للحزب في يونيو ٢٠٠٥.

التـي وضعَهـا المجلـسُ فـي وَثيقتـه التأسيسـيَّة، تمثيـلُ الطائفـة داخـلَ الوطـن وخارجَـه، والتحـدثُ باسـمِها وتشـخيصُ مواقفهـا، والسَّـعيُ إلـى إنشـاء محاكـمَ مُسـتقِلة للأحـوالِ الشـخصيَّة، وإقامـةُ مؤسسـاتٍ تربويَّـةٍ وترسـيخُ مبـدأ التعايـش،[٢١] بحسـب مـا تطـرحُ الوثيقـة.

وفـي عـام ٢٠١٤، تـم تأسـيسُ حركـتَين شـبابيتَين، همـا كشـافة الإمـام المهـدي وكشـافة الولايـة.[٢٢]

اسـتغلتْ إيـرانُ ووكلاؤهـا فـي سـوريا الأزمـةَ الاقتصاديَّـة والاجتماعيَّـة الحـادَّة فـي حمـلاتِ التَّشـييع، عبـر التركيـز علـى الفئـات المُهمَّشـة والأكثـر احتِياجًـا مـن المجتمـع السـوري، مـن خـلال تقديـم المَعونـات الماديَّـة والسّـلال الغذائيَّـة والطّبابـة المَجانيَّـة، وتنظيـم رحـلاتٍ دينيَّـة إلـى الأماكـن الشِّـيعيَّة المُقدَّسـة فـي جميـع أنحـاء سـوريا. ومـن أكثـر الطُّـرق إثـارةً، والتـي تسـتخدمُها إيـران لتَرسـيخ مكانتهـا فـي سـوريا، هـي زيـادة عـددِ الشِّـيعة بيـن السـوريِّين، بمـا يُحقِّـق أمرَيـن: الأول، سـيكون الشِّـيعةُ بمثابـة طليعـةِ الفكـر الإيرانـي فـي سـوريا. والثانـي، وجـودُ عـددٍ كبيـر مـن الشِّـيعة فـي سـوريا سـيُوفِّر لإيـران ذريعـةً مسـتمرةً للتدخُّـل. إنَّ محاولـةَ إيـران لزيـادة عـدد الشِّـيعة تَنبـعُ مـن أنَّ النسـبةَ المئويَّـة للطائفـة الشِّـيعيَّة فـي سـوريا قبـل عـام ٢٠١١ هـي حوالـى ١٪ (ليـس كحـال الطائفـة فـي كُلٍّ مـن العـراق واليمـن ولبنـان) وهـذه النسـبة مـن غيـر الممكـن أن تؤثـر فـي تشـكيلِ النظـام السياسـي مُسـتقبلًا.

طريقـةٌ أخـرى اعتمدَتهـا طهـران لتَعزيـز الهويَّـة الشِّـيعيَّة فـي سـوريا، مـن خـلال إعـادة توطيـن الشِّـيعة فـي البلـدات التـي تـمَّ تدميرُهـا أو تـمَّ التخلِّـي عنهـا خـلال الحـرب، فركـزوا فـي عمليَّـة التوطيـن علـى المناطـق التـي تُشـكِّل أهميَّـةً اسـتراتيجيَّةً بالنسـبة لهـم، كالمـدن الكبيـرة وذلـك لقُربهـا مـن المراكـز الحكوميَّـة والاقتصاديَّـة، كذلـك الحـدود مـع العـراق ومـع لبنـان مـن أجل تحقيـقِ المَمَـرِّ الإيرانـي إلى «حـزب الله». ونفَّـذَتْ

إيـران كجـزءٍ مـن اسـتراتيجيتها، التبـادلات السُّـكانيَّة السُّـنِّيَّة الشِّـيعيَّة، تـارةً بالقـوة، وتـارةً أخـرى مـن خـلال اتفاقيّـاتِ وقـفِ إطـلاق النـار.

### ٣) الهَيمنة الإيرانيَّة على الاقتصاد السوري

إضافـةً إلـى الاتفاقيّـات الاقتصاديَّـة المُوقَّعـة بيـن إيـران وسـوريا والتعـاون الاقتصـادي المسـتمر منـذ مـا قبـل ٢٠١١، اسـتغلَّتْ إيـران مشـاركتَها فـي الحـرب فـي سـوريا لتَحقيـقِ مكاسـبَ اقتصاديَّـةٍ كبيـرة تُمكِّنهـا مـن مَـدِّ أذرعهـا للسَّـيطرة علـى مفاصـلَ حيويَّـةٍ فـي الاقتصـاد السـوري. حيـث وقَّعَـتْ سلسـلةً مـن الاتفاقيّـات الاقتصاديَّـة مـع دمشـق بـدءًا مـن القـروض طويلـةِ الأجـل المَمنوحـة للنظـام السـوري مـن قِبـل البنـوك الإيرانيَّـة،[٢٣] والتوريـد الإيرانـي للنِّفـط،[٢٤] وإعـادة إعمـار المناطـق المُتضَـرِّرة مـن الحـرب،[٢٥] ونظـام الطاقـة فـي سـوريا،[٢٦] وصولًا إلـى اسـتخراج المعـادن.[٢٧] تسـعى إيـران إلـى تعويـض بعـض المـوارد الاقتصاديَّـة الهائلـة التـي استَـثمرَتْها علـى مـدى سـنواتِ الحـرب والتـي تُقـدَّر بعشـراتِ المليـارات مـن الـدولارات. كذلـك، فـإنَّ هـذا التوسُّـعَ الاقتصـادي مـن أجـل تعزيـز قَبضتهـا علـى البلـد لعُقـودٍ طويلـة.

كمـا تَعتبـرُ إيـران أنَّ سـوريا منطقـةٌ جغرافيَّـةٌ مهمـة، ومرتبطـةٌ بشـكلٍ مباشـر بـهدفها المُتمثِّـل بالهَيمنـة الإقليميَّـة، وتسـعى لتَحقيـق ذلـك مـن خـلال اسـتراتيجيتَين مهمتَيـن: الأولـى، خلـقُ مَمَـرٍّ نقـلٍ شـيعيٍّ بيـن طهـران وبيـروت مـع سـكة حديـدٍ تَعبـرُ العـراق وسـوريا.[٢٨] والثانيـة، ترسـيخ وُجودهـا علـى سـاحل البحـر الأبيـض المتوسـط. فـي نيسـان عـام ٢٠١٩، وبعـد سـنواتٍ مـن المُحـاولات غيـر المُجدِيـة مـن أجـل كسـبِ مَوطـئ قـدمٍ فـي أحـد موانـئ سـوريا، والـذي كان يفشـلُ فـي السـابق بسـبب المعارضـة الروسـيَّة، أعطـى نظـامُ الأسـد تصريحًـا لإيـران مـن

أجـل اسـتئجار جـزءٍ مـن مرفـأ اللاذقيَّـة.[٢٩] وفـي آذار ٢٠٢١، حصلـتْ إيـران علـى خَـطٍّ إمـدادٍ بحـريٍّ مُنتظـم مربـوط مـع مينـاء بنـدر عبـاس فـي جنـوب إيـران.[٣٠]

وعلـى صعيـدِ قِطـاع الاتصـالات فـي سـوريا، تُحـاوِل إيـران الاسـتثمارَ فيـه فـي الخفـاء؛ وذلـك لتَجنُّـبِ جـذب انتبـاهِ فارِضـي العقوبـات، أو لِئـلا تُخيـف العمـلاء الذيـن قـد يكونـون حَذِريـن مـن اسـتخدام شـبكةِ هاتـفٍ تابعـةٍ لقُـوة عسـكريَّة أجنبيَّـة (ونقصـد هنـا الحـرس الثـوري الإيرانـي IRGC) حيـث أشـار تحقيـقٌ صحفـيٌّ نشـرَه موقـع عنـب بلـدي فـي نهايـة عـام ٢٠٢٢ عـن ارتبـاط الحـرس الثـوري الإيرانـي بمُشـغِّلِ الخليـوي الثالـث فـي سـوريا «وفـا تيليكـوم».

إعلان لشركة وفا تيليكوم

يكشـف التحقيـقُ أيضًـا الأسـباب التـي تدفـع إيـران للاسـتثمار فـي قِطـاع الاتصـالات، ومنهـا أسـباب متعلقـة بالعائـدِ المـادِّي الكبيـر الـذي تـدرُّه مثـل هـذه الاسـتثمارات، بالإضافـة لأهميَّـة قِطـاع الاتصـالات فـي جمـع المَعلومـات الاسـتخباراتيَّة.[٣١]

شعار شركة وفا تيليكوم

# الهوامش

(١) معن طلاع، الدور الإيراني في الأزمة السوريَّة: التموضُع والتحالفات والمستقبل، موقع **الجزيرة**، ٦ آذار ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ١ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٥:٢٢.

(٢) حاتم الفلاحي، الميليشيات العراقيَّة في سورية: الدور والمستقبل، موقع **الجزيرة**، ١ نيسان ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٣ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١١:٤٢.

(٣) حاتم الفلاحي، المصدر السابق.

(٤) تعرَّف على لواء زينبيّون، موقع **الخنادق**، ١٤ نيسان ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٣ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١١:٠٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) Navvar Saban, Factbox: Iranian influence and presence in Syria, **Atlantic Council**, 5 November 2020, entry date: 9 February 2023, entry hour 14:30

(٧) منازل المدنيّين تتحوّل إلى مقرّات عسكريَّة جنوبي دمشق... من المسؤول عن ذلك؟، موقع **سي٢٤**، ٢ آب ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٩ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٩:٠٠.

(٨) نظرة على الجهاد العالمي، موقع **مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب**، ١١ كانون الأول ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ٣ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ٨:٣٠.

(٩) Navvar Saban, Factbox: Iranian influence and presence in Syria, **Atlantic Council**, 5 November 2020

(١٠) Navvar Saban, IBID

(١١) تعرَّف على لواء فاطميّون، موقع **الخنادق**، ٣ نيسان ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٣ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٣:٠٠.

(١٢) فيليب سميث، كيف تنشئ إيران «حزب الله» ثاني في سوريا؟، موقع **معهد واشنطن**، ٨ آذار ٢٠١٦، تاريخ الدخول: ١٩ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٥:٣٠.

(١٣) فيليب سميث، المصدر السابق.

(١٤) عبد الحليم عباس، شيعة سورية ودور الأسد في صعودهم، موقع **الجزيرة**، ١٧ أيار ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٢٤ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ٢٠:١٩.

(١٥) عبد الحليم عباس، المصدر السابق.

(١٦) عبد الحليم عباس، المصدر السابق.

(١٧) **البعث الشِّيعي في سوريا (١٩١٩-٢٠٠٧)**، المعهد الدولي للدراسات السوريَّة، ص ٩٩، للاطلاع على أسماء الحَوْزات في سوريا، انظر/ي: ص ١٢٦.

(١٨) سوسن مهنا، «الغزو الثقافي» الإيراني عبر نشر التشيُّع في المدارس السوريَّة، موقع **إندبندنت عربيَّة**، ٣ تشرين الثاني ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١١:٠٠.

(١٩) عبد الحليم عباس، شيعة سورية ودور الأسد في صعودهم، موقع **الجزيرة**، ١٧ أيار ٢٠١٩، مصدر سابق.

(٢٠) مهند الحاج علي، المجلس الإسلامي الجعفري في سوريا، موقع **المدن**، ٤ تموز ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ٢٣ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٣:٠٠.

(٢١) مهند الحاج علي، المصدر السابق.

(٢٢) سوسن مهنا، «الغزو الثقافي» الإيراني عبر نشر التشيُّع في المدارس السوريَّة، موقع **إندبندنت عربيَّة**، ، ٣ تشرين الثاني ٢٠٢١، مصدر سابق.

(٢٣) نظام الأسد يتورّط في قرض جديد من إيران، موقع **زمان الوصل**، ١ كانون الأول ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ١٢ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٠:٠٠.

(٢٤) عدنان عبد الرزاق، هكذا يسدد الأسد ثمن النفط الإيراني، موقع **العربي الجديد**، ٢ شباط ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ١٠ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٤:٠٠.

(٢٥) إعادة الإعمار بعد صفقة الحرب: تدخُّل إيراني مُعقَّد في سوريا، موقع **صحيفة العرب**، ١٤ تموز ٢٠١٨، تاريخ الدخول: ٥ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٦:٠٠.

(٢٦) تيم الحاج، السعي الإيراني للسيطرة على كهرباء سوريا في ميزان الأرباح والعراقيل، موقع **عنب بلدي**، ١٩ تشرين الثاني ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ١٧ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٨:٠٠.

(٢٧) سليمان سباعي، بهدف استخراج الفوسفات... شركة إيرانيَّة جديدة تستثمر في ريف حمص الشرقي، موقع **نداء بوست**، ١٣ حزيران ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ١٤ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٧:٠٠.

(٢٨) عدنان أحمد، وفد إيراني يبحث في دمشق مشروع ربط سككي مع العراق وسوريا، موقع **العربي الجديد**، ٢٦ نيسان ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٩ نيسان ٢٠٢٣، الساعة: ١٤:٠٠.

(٢٩) صراع الموانئ في سوريا، موقع **العربيَّة**، ٢٨ أيار ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ١٠ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٨:٠٠.

(٣٠) إيران تعلن إنشاء خط شحن بحري بين ميناءي بندر عباس واللاذقيَّة، موقع **تلفزيون سوريا**، ١٢ شباط ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢١ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ٢٠:٠٠.

(٣١) رنا صبّاغ، لارا دعمس، سامي شحرور، ألكسندر دزيادوش، من مؤسّسة مكافحة الجريمة المنظمة والفساد (OCCRP)، كرم شعّار، مرصد الشبكات السوري (Opensyr)، وجاكوب غرينوالد، الصلات الخفيَّة بين أحدث مشغل للهاتف المحمول في سوريا والحرس الثوري الإيراني، موقع **عنب بلدي**، ٩ كانون الأول ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢١ نيسان ٢٠٢٣، الساعة: ١٦:٠٠.

الفصل الثاني

# معركة القُصير والتغيِير الديموغرافي فيها

### ١) التغيِير الديموغرافي في «سوريا المُفيدة»

في دراسة أعدَّها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة بعنوان «سوريا المفيدة والتغيِير الديموغرافي» اعتمدَتْ على مقارنةٍ بين توزيع النِّسَبِ السُّكانيَّة على الأديان والطوائف في محافظات سوريا المفيدة السِّتة وهي: (دمشق، ريف دمشق، حمص، حماة، اللاذقيَّة، طرطوس) بين عامَي ٢٠١١ و٢٠١٦،[١] تَبيَّن أنَّ النِّسَبَ السُّكانيَّة للأديان والطوائف في محافظات «سوريا المفيدة» حتى

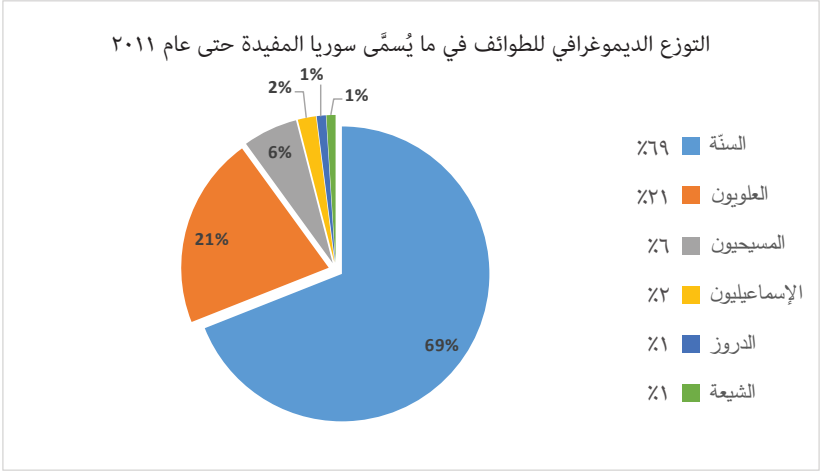

نهايـة عـام ٢٠١١ كانت كالتالـي: السُّـنة ٦٩٪، العلَويون ٢١٪، المَسـيحيون ٦٪، الإسـماعيليون ٢٪، الدُّروز ١٪، الشِّـيعة ١٪.

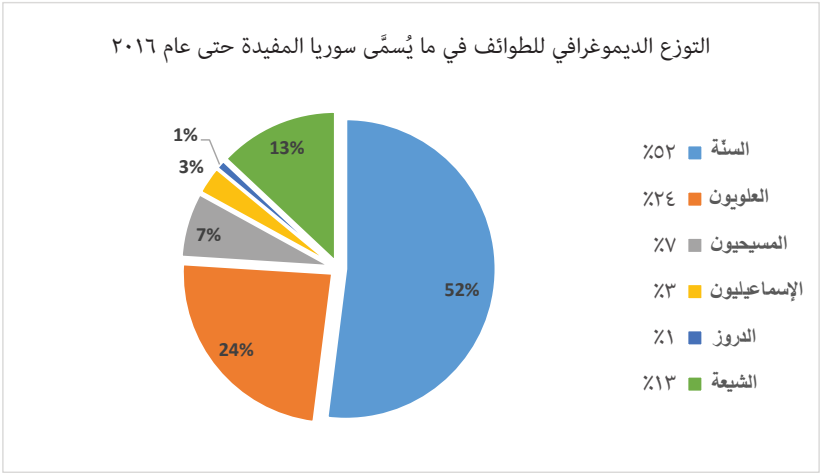


وارتفعَـتْ نسـبةُ الشِّـيعة بحسـب هـذه الدراسـة عـام ٢٠١٦ إلـى ١٣٪، فيمـا تراجعَـتْ نسـبةُ الطائـفة السُّـنِّيَّة إلـى حـدود ٥٢٪، ومـردُّ ذلـك يعـود إلـى عمليـاتِ التهجيـر والقتـل التـي شُـنَّتْ علـى المُـدن والأريـاف السُّـنِّيَّة المُعارِضـة للنظـام إلـى خـارج البـلاد ونحـو شـمال غـرب سـوريا؛ بينمـا حافظَـتِ الطوائـفُ الباقيـةُ علـى نِسَـبِ تواجُـدٍ ثابـتة. أمّـا الطائفةُ العلَويَّـة فقـدِ ازدادتْ بشَـكلٍ طَفيـف، وهـذا يعـود لتراجُـعِ عـددِ سُـكان سـوريا المفيـدة مـن السُّـنة، فـي حيـن أنَّ الطائفـةَ العلَويَّـة لـم تُحقِّـق نمـوًّا سُـكانـيًّا يُذكَـر بفِعـل الخسـائر البشـريَّة التـي تكبدَتهـا خـلال سـنوات الحـرب، وهجـرة العديـد مـن الشـباب هربًـا مـن الـزَّجِّ بهـم فـي الصِّـراع.[٢]

تُبيِّـن الأرقـامُ فـي الدراسـة أنَّ محافظـةَ حمـص اسـتحوذَتْ علـى الفـارق الأكبـر لتَغيُّـر النِّسـبة السُّـكانيَّة الخاصَّـة بالطائفـة السُّـنِّيَّة بيـن عامَـي ٢٠١١ و٢٠١٦، حيـث كانـت النسـبةُ السُّـكانيَّة للطائفـة السُّـنِّيَّة فـي محافظـة حمـص ٦٤٪ نهايـة عـام ٢٠١١، بينمـا انخفضَـتْ هـذه النسـبةُ إلـى ٢١٪ فـي نهايـة عـام ٢٠١٦.(I) فيمـا ارتفعـتْ نسـبةُ الشِّـيعة مـن ٢٪ عـام ٢٠١١ إلـى ٢٨٪ عـام ٢٠١٦.

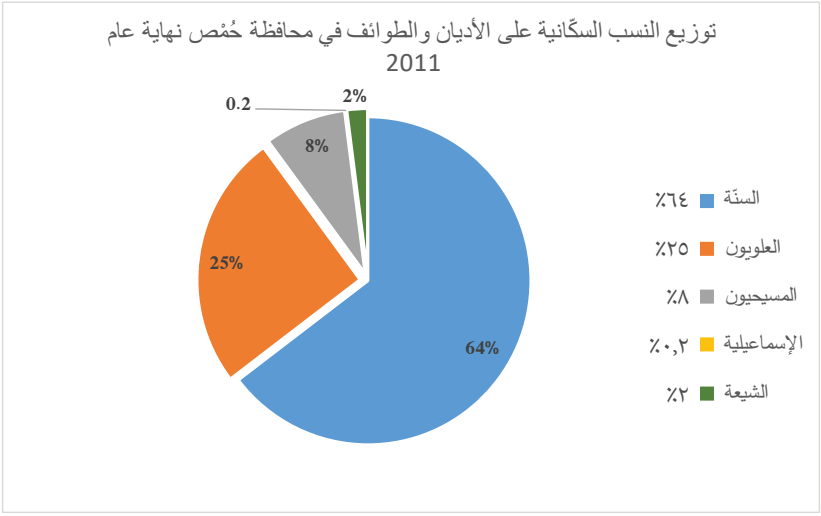


وبالنظـر إلـى هـذه الأرقـام (شـكل رقـم ٤) فقـد حظيَـتْ محافظـةُ حمص بالنصيـب الأكبـر مـن عمليَّـة التغييـر الديموغرافـي، فالمحافظـة التـي كانـت أغلبيتهـا مـن السُّـنة أضحَـتْ أقليَّـةً نتيجـةَ التهجيـر الكبيـر الـذي

(I) تعتمد الدراسة على المقارنة بين الإحصاءات الرسميَّة لعدد السكان في نهاية عام ٢٠١١ وتقديرات عدد السكان في نهاية عام ٢٠١٦، حسن قطريب، سوريا المفيدة والتغيير الديموغرافي في سوريا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة ٢٠١٦، مصدر سابق.

وقع في أحياء حمص المدينة، والريف الشمالي (الرستن، تلبيسة)، والريف الغربي (القُصير، تلكلخ) السُّنِّيَّة، وازداد السُّكان الشِّيعة بنسبةٍ كبيرة ليُصبحَ أكثر من عدد السُّنة في المحافظة.[I]

## ٢) واقع القُصير وأهميتها الاستراتيجيَّة

كان لمدينة القُصير في محافظة حمص أهميَّة خاصَّة خلال أحداث الثورة السوريَّة، حيث تقع المدينةُ جنوب غرب مدينة حمص، وتبعد عنها مسافة ٣٥ كم، وعن الحدود اللبنانيَّة مسافة ١٥ كم. تُشكِّل القُصير نقطةَ الوَصلِ بين الشمال اللبناني وريف حمص الجنوبي، وتبعد نحو ١٠ كم فقط عن العُقدة التي تَلتقي فيها معظم الطُّرق الدوليَّة البريَّة داخل سوريا. وتَتبع لها إداريًّا ٤٩ قرية و٣٢ مزرعة.[٣]

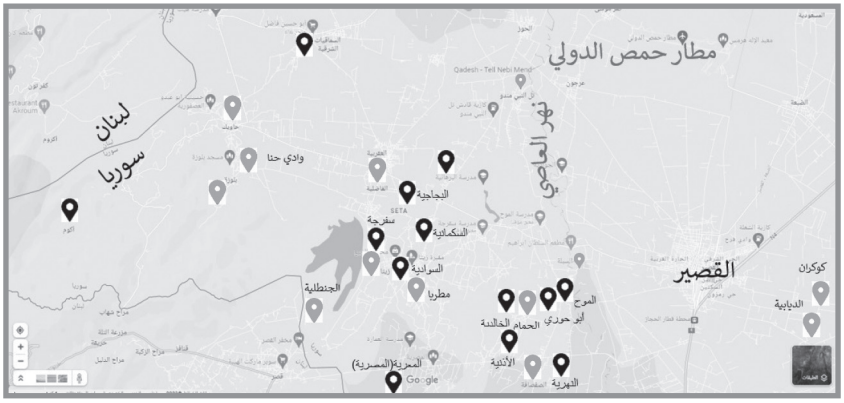


(I) القُصير: اجتاحتها مليشيات «حزب الله» عام ٢٠١٣، وهَجَّرت أهلَها ودمرت مساجدها، ومنعت أهلها من العودة إليها، ووطنت مكانهم شيعة من مليشيات طائفيَّة وأهمّهم لواء الرضا، ولم يُخفِ الحزب نيّته تحويلها لملاذٍ آمن للشيعة، حيث يؤكّد النائب اللبناني «معين المرعبي» تواجد مطلوبين للحكومة اللبنانيَّة من «حزب الله»، مقيمين فيها، متمتعين بحماية مليشيات الحزب. انظر/ي: عبد المنعم زين الدّين، التغيير الديموغرافي في سوريا والتهجير القسري في ظل الثورة السوريَّة، موقع **مركز جسور للدراسات**، ١٩ أيلول ٢٠١٦، تاريخ الدخول: ١٣ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ٨:٣٠.

| القرى السُّنِّيَّة التي تمَّ تهجيـرُها في القُصير غرب العاصي<br>(الموقع باللون الأسود على الخريطة) | القرى الشِّيعيَّة والسُّنِّيَّة في القُصير غرب العاصي على حدود لبنان<br>(الموقع باللون الرمادي على الخريطة) |
|---|---|
| **المصريَّة:** سُكّانها سوريّون من عرب أبو جبل. تقع بين الحدود اللبنانيَّة وقرية «الصفصافة» و«الجنطليَّة». | **الجنطليَّة:** سُكّانها لبنانيّون شيعة، تقع تمامًا على الحدود، وهي مَبنِيَّة على المنطقة العقاريَّة «المعيصرة» التابعة للقُصير، وهذه القرية تتبع إداريًّا لبلديَّة «البرهانيَّة». |
| **السواديَّة:** سُكّانها سوريّون سُنَّة من عرب الشقيف، ملاصقةٌ تمامًا لقرية «زيتا» من جهة الشمال ومن الجنوب قرية «مطربا» ومن الغرب «الفاضليَّة». | **الصفصافة:** وهي قريةٌ مختلطة شيعة وسُنَّة، الشِّيعة كلهم لبنانيّون وقد تمَّ تهجير السُّنَّة المتواجدين بينهم. مَبنِيَّةٌ في المنطقة العقاريَّة «الحمام» وتبعد عن الحدود اللبنانيَّة ضمن الأراضي السوريَّة حوالى ٢ كم، وهذه القرية تتبع إداريًّا لبلديَّة «ربلة». |
| **البجاجيَّة:** سُكّانها سوريّون سُنَّة وهي مَحصورةٌ ما بين «الفاضليَّة» من الغرب «زيتا» من الجنوب والشرق. | **الحمام:** تبعدُ عن الحدود اللبنانيَّة ٣ كم وسُكّانها لبنانيّون شيعة، وسَكنَ معهم في الفترة الأخيرة عدة عوائل من السوريّين السُّنَّة البَدو. مَبنِيَّةٌ على المنطقة العقاريَّة «الحمام» التابعة للقُصير، وهذه القرية تتبع إداريًّا لبلديَّة «البرهانيَّة». |
| **السكمانيَّة:** وهي قرية سُكّانها سوريّون سُنَّة من عرب الفواعرة، وهي بالقرب من قرية «زيتا» من جهة الشمال وتحدها من جهة الشرق قرية «البرهانيَّة». | **مطربا:** سُكّانها لبنانيّون شيعة، وتقع على الحدود اللبنانيَّة، وهي مَبنِيَّة على المنطقة العقاريَّة «مطربا» التابعة للقُصير، والتي تتبع إداريًّا لبلديَّة «البرهانيَّة». |

| | |
|---|---|
| **السماقيّات:** سُكّانها من السوريّين السُّنَّة، وهي مُحادّةٌ لقرية «حاويك» من جهة الشمال. | **زيتا:** وهي أكبر القرى الشِّيعيَّة الموجودة بالقرب من الحدود اللبنانيّة، وعلى بعد ٣ كم من الحدود اللبنانيَّة. وسكّانها شيعة بالكامل، منهم حوالى ٥٠٠ من السوريّين. مَبنِيَّةٌ على المنطقة العقاريَّة «زيتا» التابعة للقْصير وهي تتبع إداريًّا لبلديَّة «البرهانيَّة». |
| **أكوم:** سكّانها كلّهم سوريّون، وهي محصورة بين الحدود اللبنانيَّة من جهة الغرب والجنوب ومن الشرق «حاويك». | **الديابيَّة:** سُكّانها شيعة، معظمهم سوريّون، وتبعد عن الحدود اللبنانيَّة السوريَّة ١٥ كم. وتحتوي على حقلِ رميٍ لجيش النظام السوري. وهي مَبنيَّةٌ على المنطقة العقاريَّة «الديابيَّة» التابعة للقْصير، وتتبع إداريًّا لبلديَّة «الدمينة» الشرقيَّة. |
| **النهريَّة:** بجوار «الصفصافة» من الشرق، وسكّانها من عرب أبو جبل والطويلع. | **كوكران:** هي قرية قريبةٌ من «الديابيَّة» وسكّانها لبنانيّون شيعة، تبعد عن الحدود اللبنانيَّة ـ السوريَّة ١٧ كم، تابعةٌ للقْصير وهي مَبنيَّة على المنطقة العقاريَّة «كوركران» والتابعة إداريًّا لبلديَّة «الدمينة» الشرقيَّة. |
| **أبو حوري:** هي قرية ملاصقة لقرية «الحمام»، وسكّانها من عرب الفواعرة والفلاحين. | **الفاضليَّة:** وهي قرية سُكّانها من الشِّيعة وبعض العلويّين، وهم سوريّون ولبنانيّون. وهي مَبنيَّةٌ على المنطقة العقاريَّة «زيتا» والمنطقة العقاريَّة «العقربيَّة» التابعة للقْصير وتتبع إداريًّا لبلديَّة «العقربيَّة» وتبعد عن الحدود اللبنانيَّة حوالى ٣ كم. |
| **سفرجة:** ملاصقة تمامًا لقرية «زيتا» و«المعيصرة»، وهي من عرب المقالدة، وهي سوريَّة بالكامل. | **وادي حنا:** وهي قريةٌ سكّانها من اللبنانيّين الشِّيعة وهي مَبنيَّة على المنطقة العقاريَّة «وادي حنا» التابعة للقْصير، وتبعد عن الحدود السوريَّة اللبنانيَّة حوالى ٢ كم، وهذه القرية تابعة إداريًّا لبلديَّة «العقربيَّة». |

| | |
|---|---|
| **البرهانيَّة**: سكّانها من عرب المقالدة وهي سوريَّة بالكامل. | **بلوز**: وهي قرية مختلطة سُنَّة وشيعة سوريّون ولبنانيّون ويبلغ عدد سكّانها حوالى ٤٠٠ نسمة، مَبنيَّة على المنطقة العقاريَّة «أكوم معيان» التابعة للقُصير والتابعة إداريًّا لبلديَّة «العقربيَّة»، تبعد عن الحدود اللبنانيَّة حوالى ٤ كم. |
| **الأذنيَّة**: سُكّانها من الفلّاحين، وهي سوريَّة بالكامل، وتقع بالقرب من «الصفصافة» و«الحمام». | **حاويك**: وهي قريةٌ سُكّانها سُنَّة وشيعة، سوريّون ولبنانيّون. بعض أبنائها ضباطٌ في الجيش السوري، وعدد سكّانها حوالى ٢٠٠٠ نسمة، وهي تبعد عن الحدود اللبنانيَّة السوريَّة ٥ كم. مَبنيَّةٌ على المنطقة العقاريَّة «حاويك» وأراضيها بالكامل ملك الجمهوريَّة العربيَّة السوريَّة (أملاك عامة) التابعة للقُصير، وهي تتبع إداريًّا لبلديَّة «العقربيَّة». |
| **الموح**: سُكانها سُنَّة ومسيحيّون سوريّون، وهي بالقرب من «أبو حوري». | |
| **الخالديَّة**: وهي قرية سوريَّة، وتقع بالقرب من «الحمام». | |

تُشير التقديراتُ إلى أنَّ نسبةَ السُّنة كانت أكثر من ٧٠٪، والمسيحيّين ١٥٪، والعلويّين ١٠٪، والشِّيعة ٥٪. وكان مركز المدينة فيه حوالى ٦٠٪ سُنة، وحوالى ٢٥٪ مسيحيّين، و١٥٪ شيعة وعلويّين؛ وقد كانت العلاقاتُ طبيعيَّةً وجيدةً قبل ٢٠١١.[٤] ومنطقة القُصير قائمةٌ على أبناء عشائر بمُعظمها، وهي متصلةٌ بعشائرَ لبنانيَّة في بعلبك كالموجودين في الهرمل وقرية القصر اللبنانيَّة، هم ذاتهم الموجودون في القُصير لكنَّ قِسمًا منهم شيعة والآخر سُنة.

كان معظمُ سُكان مدينة القُصير يَعملون في الزراعة والتهريب

ووظائـف الدولـة. وتقـع القُصيـر فـي أرضٍ سَهلِـيَّة مُنبسِـطة، تنحـدرُ نحـو مجـرى نهـر العاصـي الـذي يبعـد عنهـا حوالـى ٣ كـم غربًـا، تُربتهـا بُـنِّيَّةٌ حَمـراء خَصيبـة. تشـتهر بزراعتهـا المرويَّـة مـن أقنيـة نهـر العاصـي فـي مسـاحةٍ تزيـد علـى ٦٠٠ هكتـار يُضـاف إليهـا ٣٨٠ هكتـار مُـروج وأحـراش. ويُربِّـي سُـكانها الأبقـار والأغنـام والماعـز والدواجـن وعشـرات الخلايـا مـن النحـل. كمـا كانـت القُصيـر مركـزًا لصناعـة الفحـم وتجارته.[I]

### ٣) القُصير من الثورة إلى المعركة

انخـرطَ سُـكان مدينـة القُصيـر فـي الاحتجاجـات السِّـلمِيَّة منـذ جمعـة الشـهداء ١ نيسـان ٢٠١١،[II] وحافظـت المدينـةُ علـى وتيـرةِ احتجاجاتهـا السِّـلميَّة حتـى نهايـة شـباط ٢٠١٢؛ إذِ الْـتجأَ إليهـا المقاتلـون الهاربـون مـن حـي (بابـا عمـرو)، وشَـكَّـلوا مـع سُـكانها كتائـبَ مُسـلَّحة لقتـالِ جيـش النظـام. وبنهايـة شـهر آذار ٢٠١٢، خرجـتْ مدينـةُ القُصيـر عـن سـيطرة النظـام عسـكريًّا ولـم تَنجـحِ المُحـاولات المتكـررة فـي اقتحامهـا أو إعـادة السـيطرة عليهـا.[٥]

سـعى النظـامُ السـوري فـي محافظـة حمـص إلـى اسـتعادةِ المدينـة، وعقـبَ سـيطَرته علـى حَـيِّ بابـا عمـرو وجَّـهَ اهتمامَـه بشـكلٍ أساسـيٍّ لاسـتعادة أحيـاء حمـص القديمـة التـي تَحصَّـنَ فيهـا مُقاتلـو المعارضـة المسـلحة؛ غيـر أن فَشَـلَ مُحـاولاتِ الاقتحـام المتكـررة جعلَتـه يُغيِّـر مـن تكتيكاتـه نحـو ضَـربِ خُطـوط الإمـداد التـي كانـت تتركَّـزُ فـي ريـف

(I) يُرجَى الملاحظة أن أرقام المساحات المزروعة تعتبر عن عام ١٩٩٠ وما قبل، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مصدر سابق.

(II) في بدايات الحراك في سوريا، أخذت الجُمَع أسماء ذات قيمٍ رمزيَّة كالكرامة والعزة والصمود... إلخ، حيث كانت من الأدوات المهمّة لإيصال رسائل لعموم السوريّين والسوريّات.

حمص الشمالي (الرستن، تلبيسة) والقُصير في ريف حمص الجنوبي. شكَّلت القُصير جيبًا سُنيًّا بين الأراضي الشِّيعيَّة والعلَويَّة، وبالتالي، جُغرافيًّا، مَكَّنتِ المعارضةَ المسلحةَ من الاعتماد عليها كنقطةِ وَصلٍ بين المناطق الداخليَّة السوريَّة السُّنِّيَّة، وبين طرابلس السُّنِّيَّة في شمال لبنان.[٦] كما أنها تقع على الطريق الدوليَّة التي تربطُ سوريا بلبنان من خلال أحدِ المعابر الخمسة وهو مَعبر جوسيه، الذي يُقابله قرى القاع في لبنان ويدخلُ الأراضي اللبنانيَّة كأوتوستراد بعلبك ـ القاع. كان للسيطرة على القُصير بالنسبة للنظام وحلفائه أهميَّة استراتيجيَّة، تمنعُ أيَّ تَنسيقٍ سُنِّي عبر الحدود بين لبنان وسوريا، وتسمحُ بالاتصال بين النظام وحلفائه من الحدود اللبنانيَّة كاملةً، إلى طرطوس، فاللاذقيَّة.[٧]

### ٤) معركة القُصير

قاسم سليماني يتابع المعارك في سوريا

نظرًا لأهميتها، شهدتْ معركةُ القُصير حضورًا لـ(قاسم سليماني)[I] والذي أدارها بنفسه.[٨] واتبعت القواتُ الإيرانيَّةُ وحليفتُها من حزب الله سياسةَ عملياتِ الحِصار والتجويع ضِدَّ المناطق التي استعصَتْ عسكريًّا على النظام.[٩] شهدتْ

(I) نشرت مجلّة نيويورك تقريرًا يقول أنَّ قاسم سليماني يدير معركة السيطرة على مدينة القُصير في ريف حمص من مبنى مُحصَّن بشدة، مكونًا غرفة عمليّات تضمّ قادةً من جيش الأسد وقوّات «حزب الله» ومليشيات متعدّدة الجنسيّات من العراق وأفغانستان،

Dexter Filkins, The Shadow Commander, **The New Yorker**, 30 September 2013, entry date: 25 February 2023, entry hour: 16:00.

معركةُ السيطرة على مدينة القُصير قتلَ المليشيات المهاجمة لمئات المدنيِّين وتدميرَ جزءٍ واسعٍ منها بعد حصارٍ خانِق للمدينة، مما دفعَ الناسَ نتيجةً لاشتداد الحصار لمُغادرة القُصير ليلًا والتسلل عبر البساتين للهروب من جحيم القصف على المدينة وقُراها.[١٠]

عناصر وآليات حزب الله في ساحة الساعة وسط القصير

وبحسب التقديرات، قُتل في هذه المعركة نحو ثلاثة آلافٍ من أهالي القُصير، وهو رقمٌ يُعَدُّ الأعلى في سوريا كلها قياسًا إلى نسبة عدد السُّكان، إذ إنَّ الصواريخَ كانت تَسقُط بكثافة، ونتيجةً للقصف الهائل والمستمر تم تدميرُ أكثر من ٧٠٪ من المدينة.[١١] بحسب ما يؤكدهُ سكان المنطقة، وتتوافق هذه الشهادات مع التقارير الدوليَّة، كالدِّراسة الذي قَدَّمَها البنكُ الدولي عام ٢٠٢٠ بعنوان قدرة اللاجئين السوريّين على العودة إلى ديارهم: تحليل اقتصادي واجتماعي.[١٢]

### ٥) «حزب الله» في القُصير

#### أ- «حزب الله» في المعركة

إضافةً لأهميَّة القُصير الاستراتيجيَّة بالنسبة للنظام وحلفائه، فإنها تتمتعُ بأهميَّةٍ خاصَّةٍ بالنسبةِ لـ«حزب الله»، فالسيطرةُ عليها جزءٌ من الأمن الاستراتيجي للحزب، حيث تُؤمِّنُ له السيطرةَ على الحدود اللبنانيَّة السوريَّة من كِلَا الجانبين، وتأمينها على المدى الطويل، بما يضمنُ تدفُّقَ الأسلحة والإمدادات من سوريا إلى لبنان بصرف النظر عن المآلات المُستقبليَّة للصِّراع في سوريا.

ملصق لأمين عام حزب الله حسن نصر الله بعد السيطرة على القصير

ومنذ بداية الحرب، وتحديدًا في خريف عام ٢٠١١، تَذرَّعَ «حزب الله» بأنَّ الهجمات على الشِّيعة السوريّين في المناطق الحدوديَّة كانت سببًا أساسيًّا لتَدخُّل «حزب الله» إلى جانب النظام السوري، وأن هذه الهجمات كانت من قِبل المُتمرِّدين السُّنة على القرى الشِّيعيَّة المُحيطة بمدينة القُصير. استخدم حزب الله الروابِطَ العشائريَّة العميقة التي تُوَحِّدُ الشِّيعةَ على جانبَي الحدود بين البلدَين، لحَشد حاضِنته الشعبيَّة نحو خوضِ حربٍ طويلةِ الأمد؛ لتَبرير حجم الخسائر الكبيرة التي ستترتبُ فيما بعدُ على تورطهِ في الصراع المسلح على طول خط الأزمة السوريَّة.[I] اكتسبتْ معركةُ القُصير أهميَّةً كبيرة، وخصوصًا منذ أن أعلنَ السيد حسن نصرالله في خطابٍ له في ٢٦ أيار دخول الحزب بشكلٍ كاملٍ في معركة القُصير.[١٣] وقالت جماعةٌ معارِضةٌ في القُصير أنَّ أكثر من ٥٠٠ من مُقاتلي المعارضة لَقوا حَتفَهم في القِتال وأُصيبَ ١٠٠٠ آخرون، ليَتبقَّى ٤٠٠ فقط من المقاتلين الأضعف تَسلُّحًا يُكافحون

(I) قال الأمين العام لـ«حزب الله» السيّد حسن نصرالله في كلمة له: اليوم لم يَعد الموضوع شعب ثائر على نظام ولا موضوع إصلاحات، لأن النظام جاهز من أجل الإصلاح، ونحن بحسب رؤيتنا نعتبر أنَّ سيطرة هذه الجماعات على سوريا أو على المحافظات المُحاذية للبنان هي خطر كبير على لبنان وعلى كل اللبنانيّين وهي ليست خطرًا على «حزب الله» أو الشِّيعة فقط، هذه الجماعات إذا تمكّنت من السيطرة على المحافظات المحاذية للحدود ستكون خطرًا على المسلمين والمسيحيّين والدليل على ذلك هو ما يحصل في سوريا حيث مَن يقاتل هو امتداد لتنظيم دولة العراق الإسلاميّة، واسألوا أهل السُّنَّة في العراق عن ماذا فعل هذا التنظيم بهم. للمزيد انظر/ي: نص خطاب حسن نصر الله، كما كنت أعدكم بالنصر دائما أعدكم بالنصر مجددًا، موقع **المنار**، ٢٥ أيار ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ١٠ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ٩:٠٠.

للتمسك بالبلدة،[١٤] التي تَحوَّلَتْ مبانيها إلى أكوامٍ من الخرسانة بفِعل قصف القوات المهاجِمة لمناطقَ بأكملها، في مواجهة مقاتلي جماعة «حزب الله» الذين حَوَّلوا المعركة لصالح الأسد، حيث كان الطيرانُ السوري يُمهِّدُ لهم الطريقَ بغاراتٍ عنيفةٍ على مناطق سيطرة المعارضة.[١٥] وقد قرَّرَ الناجون من سُكان القُصير ومقاتليها الفرارَ ليلًا من خلال مَمرٍّ قال المهاجمون أنهم تركوه مفتوحًا عمدًا لتَشجيع المقاتلين على الهرب من المدينة.[١٦]

توزيع الحلوى على حواجز لحزب الله بمناسبة سقوط القصير

في المقابل، شهدتِ الضاحيةُ الجنوبيَّة لبيروت، بعد سيطرة «حزب الله» على مدينة القُصير، تنظيمَ عناصر من الحزب وَقفاتٍ لتوزيع حلوى على المارة احتفاءًا بسُقوطِ المدينة. وأُطلِقَتِ المفرقعاتُ الناريَّة وحملَ المُحتَفون يافطاتٍ كُتِبَ عليها: «القُصير سقطَت!» في إشارةٍ للمدينة التي أدى القتالُ فيها إلى سقوط عشراتٍ من عناصر النخبة لدى «حزب الله» بين قتيلٍ وجريح.[١٧] وأشارتْ جريدةُ المُدنِ الإلكترونيَّة إلى أنه قد سقطَ للحزب في معركة القُصير ١٣٠ قتيلًا.[١٨]

مارسَ حزبُ الله في سوريا سياسةَ الحِصار، كما حصلَ في مضايا، وتسببَ في تهجير أكثر من ٥٩٧٥ شخصًا من أهالي الزبداني ومضايا إلى الشمال، وعمدَ إلى انتهاج سياساتٍ مُستدامَة تَحرِمُ المدنيّين من العودة مستقبلًا إلى مناطقهم؛ فأنشأ أكثر من ٢٥٠ نقطة عسكريَّة وقامَ بعد التهجير بشَقِّ الطُّرقات الفرعيَّة في السهل والجبل ثمَّ تَعبيدها لتَسهيلِ عمليَّة نقل السِّلاح والمخدرات بين لبنان وسوريا لصالحه.[١٩] وكما حصلَ في مضايا والزبداني حصل في

مدينـة القْصيـر، الجيـب السُّـني فـي منطقـة العلويِّيـن والشِّـيعة علـى الحـدود اللبنانيَّـة، التـي تَحوَّلـتْ بعـد عـام ٢٠١٣ إلـى قاعـدة حـزب اللـه؛ حيـث تـم إعـادة توطيـن السُّـكان السـوريّين واللبنانيّيـن الشِّـيعة فيهـا.[٢٠]

## ب- التواجد الحاليُّ للحزب في القْصير

عرض عسكري لحزب الله في القصير عام ٢٠١٦

يتواجـدُ اليـومَ فـي القْصيـر قـواتُ النظـام السـوري، ومـا يُسـمَّى القـوات الرديفـة مثـل ميليشـيا الدفـاع الوطنـي،[I] نسـور الزوبعـة[II] التابعـة للحـزب القومـي الاجتماعـي السـوري، قـوات البعـث،[III] إضافـةً لتَواجُـدِ حـزب اللـه اللبنانـي وحـزب اللـه السـوري[٢١] الـذي قَـدِمَ مقاتـلوه مـع عائلاتهـم مـن مدينتَـي نُبُّـل والزهـراء فـي ريـف حلـب وسـكَنوا فـي القْصيـر، وقـد استـثمرَتْ هـذه العائـلاتُ أراضٍ زراعيَّـة فيهـا.[٢٢]

يُسـيطر حـزبُ اللـه علـى مسـاحاتٍ واسـعة مـن القْصيـر، ويتركـزُ وجـوده

(I) ميلشيا سوريَّة أنشأها النظام بعد اندلاع الاحتجاجات ضدّه، وتضم متطوّعين. وقد شُكّلت من أجل مساندة الجيش النظامي في حربه.

(II) الجناح العسكري المسلّح للحزب السوري القومي الاجتماعي. وقد شاركوا في أعمال عسكريَّة مشتركة مع الجيش العربي السوري وقوّات الدفاع الوطني وقوّات أخرى.

(III) هي قوّات عسكريَّة تابعة لحزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا.

فـي قُـرىً غـرب العاصـي، بالإضافـة لمركـز مدينـة القُصير بالشـراكة مـع قـوات النظـام السـوري. كان النظـامُ وحـزب اللـه يتقاسـمان النفـوذَ فـي القُصيـر، حيـث سـكة القطـار تقسـمُ المدينـةَ بالمنتصـف، غـرب السـكة لحـزب اللـه وشـرقها للنظـام السـوري، وهـذا التقاسـمُ بَقِـيَ قائمًـا لحـدود عـام ٢٠١٩، قبـل أن يعـودَ النظـام ويفـرض سـيطرتَه علـى أجـزاء أكبـر في المدينـة.[٢٣] حيـث يُسـيطِر النظـامُ السـوريُّ عبـر «الفرقـة الرابعـة» فـي الجيـش والأمـن العسـكري علـى معظـم المنطقـة، فـي حيـن أن تواجُـدَ حـزب اللـه يتركـز فـي المنطقـة الغربيَّـة مـن القُصيـر غـرب العاصـي وفـي بلـدات الشـيعة.[٢٤]

### ٦) التـغيِـير الديموغرافي والطائفي في منطقة القُصير

عناصر من حزب الله يرفعون شعار «يا حسين» على مئذنة مسجد في القصير

بحسـب دراسـة قـام بهـا الباحـث خافييـر غونزاليـز واردة فـي كتـاب Reclaiming Home فـإن عـدد سـكان القُصيـر وضواحيهـا عـام ٢٠١٤ بحوالـى ١٣٨٠٠٠ نسـمة، منهـم ٧٧٠٠٠ نَزحُـوا عـن المدينـة. حتـى عـام ٢٠١١، كان يعيـش فـي المدينـة ذاتِ الغالبيَّـة السُّـنِّيَّة وريفهـا العديـدُ مـن المجتمعـات الدّينيَّـة.[٢٥] يتركـز المسـلمون السُّـنة والمسـيحيون فـي المدينـة وريفهـا القريـب فـي قريتـي (المـوح، أبـو حـوري) وتُحيـط بهـا قُـرىً شـيعيَّة أبرزهـا (البرهانيَّـة، الدمينـة الشـرقيَّة، العقربيَّـة، النـزاريَّة) وقُـرىً علويَّـة مثـل (الحيدريَّـة والعبوديَّـة).[٢٦]

بعد السيطرة على المدينة من قِبل قوات النظام وحلفائها في حزيران ٢٠١٣، فَرَضَتِ السُّلطاتُ السوريَّة شروطًا متباينة للعودة، ففي حين سُمِحَ للأقليات الدّينيَّة بالعودة مباشرةً، فإن الأسَرَ السُّنِّيَّة رأتْ أن وصولَها مُقيَّدٌ جدًّا وأن عودتَها النهائيَّة محظورة.[٢٧] وحتى الآن يُواجِه الرجالُ والشبان خطرَ التعرضِ للاعتقالات التعسُّفيَّة والملاحقات الأمنيَّة وطلب الخدمة العسكريَّة. وقد سُمِحَ للنساء بالعودة، ولكن غيابَ البيئة الآمنة ما زال يجعل الحديثَ عن أيِّ عودةٍ طوعيَّةٍ وآمنة ومستقرة بعيد المنال.[٢٨]

صدرَ عن مكتب الأمم المتحدة لتَنسيقِ الشؤون الإنسانيَّة تقريرٌ في شباط ٢٠٢٢ يُظهِر التقديرات التالية:[٢٩]

- عدد السُّكان المقيمين في مدينة القْصير حتى آب عام ٢٠٢١ كانت ٥٢,٠٥٨ نسمة.

- عدد سُكان المنطقة المُهجَّرين داخل سوريا كان ١١,١٢٠ نسمة.

- إجمالي عدد المقيمين في القْصير وخارجها داخل سوريا ٦٣,٣١٢ نسمة.

- النسبة المئويَّة للعائدين طوعيًّا إلى مدينة القْصير من المُهجَّرين داخل سوريا ١٨٪.

كما أسلفنا سابقًا، كانت النسبةُ الأكبر من سكان القْصير سُنِّيَّة؛ أمّا اليوم، بعد التهجير للقُرَى السُّنِّيَّة، تراجعَتْ نسبةُ السُّنة مع ازديادِ نِسَبِ الطوائف الأخرى. في حين زادتْ نسبةُ الشِّيعة بسبب الأمان المتوفر والهجرة الداخليَّة للشِّيعة من ريف حلب (نُبُّل والزهراء) وقدوم شيعة سوريّين ولبنانيّين سَكنوا في القْصير، وعمليات التشيُّع التي تنشط في المنطقة.[٣٠]

الدمار في القصير

كانت الطوائفُ في مركز المدينة متداخلةً فيما بينها، أي لا يوجد حَيٌّ باسم طائفة معينة؛ لكن نسبةَ السُّنة كانت هي الغالبيَّة فيها. أمّا في الريف، ربلة والدمينة الشرقيَّة مَسيحيَّة، الدمينة الغربيَّة سُنة ومسيحيَّة، المصريَّة سُنَّة، البرهانيَّة سُنَّة وعلَويَّة، زيتا والعقربيَّة علويَّة وشيعة وسُنَّة، الضبعة سُنَّة، وفيها مِن باقي الطوائف بسبب وجود مَساكِنَ لضباط الجيش فيها ممن يَخدمون في مطار الضبعة؛ وبعد سيطرة الحرس الثوري الإيراني على مطار الضبعة واتخاذه كقاعدةٍ عسكريَّة له تم الاستيلاء على مساحاتٍ واسعة من أراضي القرية وتهجير السُّكان ومنع اقتراب المدنيّين من تلك القاعدة أو استثمار أراضيهم المتبقية. قُرَى البرهانيَّة والعقربيَّة وعين السمك وعين التنور شَهِدَتْ تغييرًا ديموغرافيًّا كبيرًا، ونسبة السُّنة فيها بالكاد تُذكَر بعد أن كانت أغلبيَّة. وأكثر القرى التي تعرضَتْ لعملياتِ تغييرٍ ديموغرافي، هي القرى المجاورة لنهر العاصي، وهي معابر للتهريب.[٣١] أمّا السكان المسيحيون فقد اتخذوا موقفًا حياديًّا بعد ٢٠١١، نتيجةَ خوفهم من الخِطاب المتشدد، وبعضهم لجأَ إلى الانخراط في الميليشيات الموجودة للحُصول على هوياتٍ

الدمار في ساحة الساعة في القصير

تطوعيَّـة معهـم؛ كـي لا يتـم سَـوقهم إلـى الخدمـة العسـكريَّة فـي الجيـش السـوري، والـزجُّ بهـم فـي مناطـقَ أخـرى بعيـدة عـن قُراهـم.[٣٢]

إنَّ عمليَّـةَ التهجيـر المَدروسـة مـن قِبـل حـزب اللـه بحَـقِّ الأهالـي بـدأتْ مَلامِحُهـا بالظهـور بعـد فتـرةٍ وجيـزة مـن سَـيطرته، بـدءًا مـن القـرى ذات الخليـط الشِّـيعي ـ السُّـني كمـا هـو الحـال بالنسـبة لـ(الصفصافيَّـة التـي لا يتعـدى عـدد قاطنيهـا ١٠٠٠ شـخص مـن سُـنة وشـيعة، وقريـة حاويـك التـي تبعـد عـن الحـدود اللبنانيَّـة مسـافة ٥ كيلومتـر ويقطـن ضمنهـا نحـو ٢٠٠٠ نسـمة، وبسـاتين تـل أحمـر ودوسـر وبلـدة أبلـوزة) وجميـع تلـك القـرى نجـح الحـزبُ بتَهجيـر السُّـنة مـن أبنائهـا ليضمـنَ بذلـك ولاء مـن سُـمِحَ لـه بالبقـاء ضمـن معقلـه الأكبـر فـي سـوريا. كمـا أن حـزبَ اللـه بـات يُسـيطر علـى عشـرات القـرى ذات المُكـوِّن السُّـني بريـف القُصيـر المتمثلـة بالسـواديَّة المتاخمـة لقريـة زيتـا، إحـدى أكبـر معاقـل مقاتلـي اللجـان الشـعبيَّة[I] الذيـن تـمَّ تَسـليحُهم مـن قِبـل الحـزب، وقريـة السـمّاقيات، وكذلـك قـرى أكـوام التـي يُقـدَّر عـدد سـاكنيها بـ

(I) بدأ عمل «اللّجان الشعبيَّة» في سوريا نهاية ٢٠١١. بدايةً، اقتصرت مشاركة عناصر «اللّجان»، الذين كانوا يتسلّحون بالعصي، على تفريق التظاهرات إلى جانب قوّات الأمن، قبل أن تنظّمهم الفروع الأمنيَّة بحسب مناطقهم وتوزّع عليهم السِّلاح والبطاقات الأمنيَّة. وقد تبلورت صورتهم في المدن مع ارتفاع وتيرة الصراع المسلّح. انظر/ي: عمر الشيخ، مسلّحو الدولة الجيش الرديف، **الأخبار**، ٢٣ تشرين الأول ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ٣ نيسان ٢٠٢٣، الساعة: ١٦:٠٠.

١٠٠٠ نسمة، والسكمانيَّة ذات الطابع العشائري من قبيلة الفواعرة،[I] والذين لجأ معظمهم إلى منطقة وادي خالد على الحدود اللبنانيَّة نظرًا للقرابة التي تجمع فيما بينهم.[٣٣]

### ٧) التغلغُل الاجتماعي الإيراني في القُصير قبل المعركة وبعدها

بحسب ما يَذكُر أحدُ أئمة القُصير لفريق هذا البحث، كانت الأنشطةُ الاجتماعيَّة والدعَوِيَّة للتشيُّع تُدار عبر «مكتب الإمام الخامنئي في سوريا» في منطقة السّت زينب في ريف دمشق، هذا المكتب كان نواةَ العمل للشيعة في كافة أنحاء سوريا وكان يُرسِل خطباء لكُلِّ مساجدِ الشِّيعة في سوريا؛ ليُشرِفَ على العمل ويُموِّلهم بالنشاطِ الدعويِّ وعمليات البناء، ويتبع لهذا المكتب أشخاصٌ من شيعة القُصير.[٣٤]

كانت هناك مَساعٍ ونشاطٌ دعويٌّ كبير لتَشييع أهالي القُصير من كافة الشرائح والفئات وبشكلٍ خاصٍّ السُّنة، وكان يوجد تمويلٌ كبير وتُقام احتفالاتٌ كبيرة ودعوات لتلك الاحتفالات وخطابات وتوزيع كتب ومنشورات.[II] لم تكنِ الأنشطةُ الدعويَّة واضحةً بل كانت

---

(I) هي عشيرة انتشرت في حمص وريفها، وتردها بعض الروايات إلى حسن الغنطار من آل الفاعور، وكان يقدر عدد الفواعرة في منتصف القرن العشرين بـ٥٠٠ بيت.

(II) جاء ضمن البيان «الحكومة الطائفيَّة (المقصود بها الحكومة السوريَّة آنذاك) قد سهلتْ لأتباع الدّين الخميني فتح مدارسهم التي يسمّونها الحَوْزات في كل المدن السوريَّة وسهّلت وتسهّل لهم بناء معابدهم التي تُسمّى الحُسَينيّات في مدن سوريَّة وفي أحياء سُنِّيَّة لا تكاد تجد فيها شيعيًّا واحدًا، وما غاية فتح هذه المراكز إلّا خدمة وتسهيل عمل جماعات الدعوة الخُمَيْنيَّة وتيسير تنقلهم وإقامتهم والحفاظ دوما على قدرةٍ استيعابيَّة لهذه الجماعات تكفي لاحتواء حاجات أضعاف من ألحقوا بركبهم من فقراء وجهلة عوام المسلمين السُّنَّة المخدوعين. هذه التسهيلات التي تقدمها حكومة الحقد للخُمَينيّين تتزامن مع حملة شعواء تشنّها على ما تبقّى من مدارس وهيئات علميَّة دينيَّة إسلاميَّة سُنِّيَّة، فلا يكاد يمرّ يوم إلّا وتصدر فيه أوامر وتعليمات وقوانين جديدة تُضيِّق على علماء المسلمين

عبارة عن تمجيدٍ للمُقاومة وأمين عام حزب الله، وحث الناس على مناصرة حزب الله.[٣٥] وكان إضافةً إلى ذلك، هناك إغراءاتٌ ماديَّةٌ ومعنويَّة خصوصًا للأشخاص من الوجوه الدّينيَّة أو الاجتماعيَّة أو العشائريَّة أو مَن يشغلون وظائفَ في الدولة.

كان حزبُ الله يُقدِّم دعوات، إلى أشخاص فاعلين أو مؤثرين في المجتمع، لرحلاتٍ على نَفقته الخاصة إلى لبنان، وإلى الضاحية الجنوبيَّة لبيروت، والتودد للمَدعوِّين ومنح البعض منهم شهادات نَسَبٍ تعود لآل البيت، وإلقاء مُحاضرات ودروس، وتلك الرحلات كانت بإشراف وبحضور بعض المسؤولين من حزب الله.[٣٦]

يوجد في مدينة القُصير جامعٌ خاصٌّ بالشِّيعة (جامع الإمام المجتبى) تم بناؤه بعد حرب تموز ٢٠٠٦، وكان الجامعُ يَستقطِبُ رجالَ دينٍ شيعةً غير سوريّين، وكان لهم امتيازات فلم يكونوا يلتزمون بخُطب الجمعة الموزعة على المساجد، باستثناء الدعاء للرئيس. ولم يكن للدولة السوريَّة أو الأفرع الأمنيَّة أي سُلطةٍ عليهم، بحيث إنهم غير مُرغَمين مثل باقي المساجد بتَلقِّي جداول شهريَّة تُوزَّع من قِبَل وزارة الأوقاف عبر مديريَّة محافظة حمص تحتوي على خطبٍ مُوحَّدة للمساجد.[٣٧]

بعد عام ٢٠١٣، أضحتْ كافةُ المساجد السُّنِّيَّة غير المدمرة تحت سيطرة حزب الله. مؤخرًا، بعض العائلات في القُصير دخلتْ في المذهب الشِّيعي وغَيَّروا اسمَ عائلاتهم لعائلاتٍ شيعيَّة معروفة؛

السُّنَّة مجال حركتهم، بداية من إذلالهم الدائم على أبواب فروع مخابرات النظام ونهايةً بإغلاق مدارسهم ومعاهدهم التي أغلق أكثرها، وما تبقى ينتظر نفس المصير». انظر/ي: نداء من هيئة العلماء المسلمين في سوريا، شبكة الدفاع عن السُّنة، ١٠ تشرين الأول ٢٠٠٦، تاريخ الدخول: ٦ نيسان ٢٠٢٣، الساعة: ١٨:٠٠.

بسبب رغبتهم في الحصول على بطاقاتٍ حزبيَّة، تُخوِّلهم الذهابَ إلى القْصير والعودة متى شاؤوا دون أيِّ صعوبات، وللحصول على مُساعداتٍ وبطاقاتٍ تمويليَّة يتم خصمُ نصف قيمة المشتريات من خلالها في بعض المحلات المُعتمَدة من قِبل الحزب.[٣٨]

### ٨) مَنع مُهجَّري القْصير من العودة إليها

لعب «حزب الله» دورًا رئيسيًّا في التصدي لمُحاولات العودة إلى المدينة، ويرتبط ذلك بشكلٍ رئيسيٍّ بأهميَّة القْصير الاستراتيجيَّة، كما ذكَرنا سابقًا، والخشيةِ من تَجدُّد النشاط المُعارِض مع عودة أهالي المنطقة إلى المدينة التي يُريد الحزبُ أن يُؤمِّن من خلالها خطوطَ إمداده مع لبنان ودعم نفوذه العسكري في سوريا.

رغم الأوضاع الاقتصاديَّة الصعبة في لبنان التي تدفع المُهجَّرين من أهالي القْصير إلى التفكير بالعودة نحو بلداتهم، إلا أنَّ هذه العودةَ ما تزال مَحفوفة بالمخاطر؛ فالمُمارسات الأمنيَّة منِ اعتقالاتٍ تَعسُّفيَّةٍ وعملياتِ ابتزازِ المواطنين ومُقايضَتهم على سلامتهم، والخدمة العسكريَّة، وغيرها من سياسات العقاب الجماعي على المدينة التي تتمتع بأهميَّةٍ استراتيجيَّة، تَجعلُ العودةَ إليها بمثابة خطٍّ أحمر بالنسبة للسُّلطات السوريَّة وحلفائها؛ خوفًا من عودة أهاليها التي ترى فيها خطرًا قد يؤدي لتجدد أنشطة معارضة، خصوصًا بالنظر إلى موقفهم المُبْكر المنخرط في الانتفاضة السوريّة عشيَّة ٢٠١١.

ومن ناحيةٍ أخرى تُشكِّل الأوضاعُ الاقتصاديَّة عائقًا أساسيًّا أمام عودة أهالي المنطقة، حيث تغيب الخدماتُ الأساسيَّةُ من كهرباء ووقودٍ ومياه وشبكات الري...،[٣٩] مع غياب فُرصِ العمل وتَدنِّي مستوى

الأجـور وزيـادة مُعـدَّلات التضخـم علـى المسـتوى الوطنـي، فضـلًا عـن توقـف عجلـة الاقتصـاد المحلـي فـي المنطقـة التـي يعتمـد أهلُهـا بالدرجـة الأولـى علـى الإنتـاج الزراعـي، فـي ظِـلِّ الدمـار الـذي لَحِـقَ بالبُنَـى التحتيَّـة وسَـرِقة الأراضـي وسـيطرة الميليشـيات علـى المنطقة.[٤٠] فقـد خسـر الكثيـر مـن أهالـي المنطقـة أراضيهـم لصالـح مجموعـاتٍ أخـرى مـن السـكان، بعـض العائديـن مـن جهـة، وبعـض الوافديـن الجُـدد مـن الطائفـة الشِّـيعيَّة مـن جهـةٍ أخـرى، والذيـن هـم فـي الغالـب أفـراد يَعملـون مـع الميليشـيات المُواليـة للحكومـة.[٤١]

بعـد التدخـل الرُّوسِـي العسـكري فـي سـوريا عـام ٢٠١٥، وطَـرْحِ الـروس مُبـادرات لإعـادة اللاجئيـن السـوريّين، تـمَّ فتـحُ ملـف عـودة اللاجئيـن مـن أهالـي القُصيـر فـي مخيـم عرسـال، حيـث وجَّـه أميـنُ عـامِ حـزب اللـه حسـن نصـر اللـه صيـف ٢٠١٩ دعـوةً إلـى أهالـي القُصيـر للعـودة إلـى مناطقهـم، لكـن الأهالـي فـي مخيـم عرسـال ومعظـم مَـنِ انخرطـوا فـي مناهضـة النظـام أبـدوا تخوفًـا مـن تلـك الدعـوة، وطالبـوا بضمانـاتٍ دوليَّـة لحمايتهـم مـن عمليـاتٍ انتقاميَّـة، ليظـلَّ ملـفُّ عودتهـم مُعلَّـقًا، لكـن مطالبَهـم قُوبِلَـتْ بتَمنُّـع، ترافـقَ مـع تجميـد المبـادرة الروسـيَّة التـي أثمـرتْ عـن عـودة نحـو ١٧٠ ألـف لاجـئ سـوري مـن لبنـان إلـى مناطـقَ سـوريَّة عـدة، ليـس بينهـم لاجئـون مـن القُصيـر.[٤٢]

إن روايـةَ الحكومـة السـوريَّة، حـول سَـماحِها بعـودة النازحيـن وترحيبهـا بهـم والعمـل علـى تأميـن البيئـة المناسـبة والحيـاة الكريمـة لهـم، لـم تَنعكِـسْ علـى أرض الواقـع، فقـد تَقـدَّم آلافٌ مـن سـكان القُصيـر النازحيـن إلـى لبنـان بطلبـاتٍ للعـودة إلـى منازلهـم، ولكنهـا قُوبِلَـتْ بالرفـض؛[٤٣] ويمكـن ربـطُ هـذا الرفـض بأعمـالِ ونشـاطات حـزب اللـه فـي القُصيـر.[٤٤] هـذا بالإضافـة للتضيِيـق علـى أهالـي القُصيـر فـي عـدة نـواحٍ، كمنـع أصحـاب الأراضـي الزراعيَّـة مـن جَنْـيِ محاصيلهـم[٤٥] أو

تسـويقها.[٤٦] وعليـه، نَجِـد أن «حـزب اللـه» مُنشـغلٌ دائمًـا بتَهجيـر أهالـي القُصيـر.

ورغـم بـدء الأمـن العـام اللبنانـي منـذ مطلـع ٢٠١٨ التنسـيق لعـودة اللاجئيـن السـوريّين فـي لبنـان إلـى مُدنهـم، وافتتاحـه مكاتـبَ عديـدة للراغبيـن بالتسـجيل للعـودة، ورغـم سـماح السُّـلطات السـوريَّة للاجئيـن بالعـودة إلـى بعـض المناطـق، إلا أنـه واقعِيًّـا لـم يُسـمَح بالعـودة إلـى مدينـة القُصيـر وريفهـا.[٤٧] حتـى تاريـخ ٧ تمـوز ٢٠١٩، عـاد ٩٦٩ شـخصًا ينتمـون إلـى ٤٤٢ عائلـة مـن أهالـي مدينـة القُصيـر، كانـت تُقيـم تلـك العائـلات فـي مناطـق حسـياء والبريـج والقلمـون، بعـد نـزوحٍ اسـتمرَّ حوالـى سـبع سـنوات. وأكـد طونـي كاسـوحة، عضـو المكتـب التنفيـذي لمدينـة القُصيـر، عـودةَ دفعـاتٍ أخـرى مـن أهالـي المدينـة بعـد إعـادة تأهيـل الخدمـات الأساسـيَّة فـي المدينـة.[٤٨] إلا أنَّ هـذه العائـلات التـي كان محافـظ حمـص فـي اسـتقبالها قـد تـم اختيارُهـا بعنايـة، فمعظـم مَـن سُـمِحَ لهـم بالعـودة كانـوا مـن عائـلاتِ مُوظَّفـي الدولـة الذيـن لـم يسـبق أنِ اشـتركوا بأعمـالٍ ضـد القـوات الحكوميَّـة، وكانـوا قـد فَـرُّوا إلـى حسـياء وشنشـار وبعضهـم كان يُمـارِس عملـه يوميًّـا فـي القُصيـر.[٤٩]

أحـدُ الناشـطين المُتحدِّريـن مـن منطقـة القُصيـر، تحـدثَ عـنِ ارتفـاعٍ نسـبيٍّ للعـودة إلـى ريـف القُصيـر الغربـي عـن غيـره مـن المناطـق فـي القُصيـر، مـا بـدا أنـه نِيَّـةٌ محتملـة لـدى السُّـلطات السـوريَّة فـي خلـق نـوعٍ مـن التـوازن مـع شـركائها، فـي محاولـةٍ لإضعـاف سـلطة حـزب اللـه القويَّـة فـي المنطقـة.[٥٠] ولكـنِ اختلـفَ واقـعُ الأمـر مـع النوايـا أعـلاه، فقـد ارتبطَـتْ هـذه العـودةُ باجتمـاعٍ أمنـيٍّ عُقِـدَ فـي الهرمـل عـام ٢٠١٩ حضَـره علـي حيـدر، وزيـر المصالحـة آنـذاك، وبحـث موضـوع عـودة مُهجَّـري القُصيـر، وركـز الاجتمـاع حينهـا علـى خمـسِ قُـرىً فقـط تقـع فـي منطقـة غـرب العاصـي بريـف القُصيـر. وسُـمِحَ بعـودة ١٢٠٠

عائلة، لكنْ تبيَّن فيما بعد أنهم يَنتمون لبعض العشائر العربيَّة التي ترتبط مع حزب الله في عمليات التهريب، واقتصرَ الأمر على عودة أشخاصٍ ليس لهم أي نشاطٍ مُعارضٍ في السابق.[٥١]

وفي العموم، تبقى هذه التوجهاتُ مَحدودةً وفي نطاقٍ فرديٍّ ضيق، وتَخضعُ لطُرقٍ مُحدَّدة بالعودة، ومحكومة بالحصول على الموافقات الأمنيَّة المَطلوبة المَبنيَّة على دراساتٍ دقيقة من قِبل الأجهزة الأمنيَّة بالنظر إلى أهميَّة المنطقة وحساسيَّة العودة إليها، والتي ما زالت شِبهَ معدومةٍ منذ السيطرة على المدينة في أيار ٢٠١٣.[٥٢]

### ٩) القبض على المِلكيات والعقارات

يستغلُّ حزب الله غيابَ أهالي القُصير عن مدينتهم، والظروفَ الصعبة التي يعيشونها بسبب نُزوحهم ولجوئهم، مُحاوِلًا عن طريق وسطاء شِراء أراضيهم الزراعيَّة. وهناك شكاوى من مُلَّاكِ الأراضي الزراعيَّة غرب نهر العاصي في القُصير من مضايقات أنصار حزب الله، للضغط عليهم لبَيعِ أراضيهم بأبخس الأثمان.[٥٣] تتنوع طبيعةُ الأراضي الزراعيَّة في منطقة ريف القُصير، فمعظمها أراضي إصلاحٍ زراعي، وهي قانونيًّا عقارات أميريَّة تعود «رقبتها» للدولة،[٥٤] بينما يكون حَقُّ الانتفاع فيها للفلاحين التي وُزِّعَتْ عليهم، وفق قوائمَ صادرةٍ عن مديريَّة الإصلاح الزراعي في المحافظة، مقابل دفع رسومٍ سنويَّةٍ للدولة. ورغم أن القانون ٦١ لعام ٢٠٠٤ اعتبر أن مِلكيَّةَ المُنتَفِعِ مِلكيَّةٌ تامة لأراضي الدولة، سواء كانت إصلاحًا زراعيًّا أو أملاك دولة خاصة، (كما اعتبر هذه الملكيَّة تَسري بأثرٍ رجعي إلى تاريخ اعتماد التوزيع من قِبل لجنة الاعتماد في

المحافظة، وتُسجَّل باسمه في السجلات العقاريَّة بناءً على طلبٍ من مديريَّة الزراعة والإصلاح الزراعي المختصة) إلا أن هذا القانونَ نَصَّ على عدم جواز نَزعِ ملكيَّة تلك الأرض سَدادًا لدينٍ ما إلا إذا كان الدّين للدولة أو للمصرف الزراعي التعاوني.[٥٥] بالتالي، تبقى حقوقُ أصحاب هذه الأراضي مُهدَّدة، وذلك على اعتبار أن كثيرًا من أصحاب هذه الحقوق هم من المُهجَّرين قسرًا أو من اللاجئين الذين لا يستطيعون العودة، ويترتب عليهم رسومٌ للدولة أو للمصرف الزراعي التعاوني، [٥٦] وبالتالي تتحول إلى ديونٍ تستطيع من خلالها «الدولة» الاستحواذَ ونزعَ مِلكيَّة هذه الأراضي من أصحابها. وفي هذا الإطار، صَدرَ إعلانٌ في قرية أبو حوري في ريف القْصير بتاريخ ٢ أيلول ٢٠٢١ يطلبُ من بعض الأشخاص المستثمرين في أراضي أملاك الدولة مُراجعةَ مديريَّة الزراعة والإصلاح الزراعي في محافظة حمص، لاستكمال مُفصّل هوياتهم حتى تاريخ ٣١ كانون الأول ٢٠٢١، تحت طائلة اتخاذ الإجراءات القانونيَّة بحَقهم، والتي تتيح وفق أحكام القانون نزعَ ملكيَّة أراضيهم نظرًا لتَرتُّبِ دينٍ للدولة بذِمتهم.

وشهدَتْ منطقةُ القْصير منذ سيطرة القوات الحكوميَّة وقوات حزب الله عليها في عام ٢٠١٣ العديدَ من حالات الاستيلاء على الأراضي، مُستغِلِّين تهجير السُّكان ونقص أو ضياع الثبوتيات القانونيَّة الرسميَّة التي تَحمي حقوقَهم في الأرض.[٥٧] والكثير من أهالي القْصير يُواجِهون منازعات عقاريَّة، معظمها تتعلق بحالاتِ استيلاءٍ على أراضٍ أميريَّة، إما من قِبل أهالي المنطقة المُقرَّبين من السلطة أو عناصر تابعة لحزب الله.[٥٨] وتتنوع الثبوتياتُ القانونيَّة التي تَحمي ملكياتهم بين وكالاتِ كاتب العدل وعقود البيع والقرائن البسيطة المتمثلة فقط في وجود فواتير أو اشتراك

عـدادات كهربـاء ومياه، مـا يجعـل هـذه الملكيـات خـارج قيـود السـجل العقـاري مُهـدَّدة بشـكلٍ جـدي.

فـي مقابلـةٍ مـع أحـد اللاجئيـن، أخبـر أنـه قـام بمتابعـة أرضه عـن طريق أحـدِ أقاربـه لمُحاولـة الوصـول لاتفـاقٍ يُفضِـي باسـتعادة الأرض لقـاءَ مبلـغٍ مـاديٍّ، إلا أن مَسـاعيه بـاءت بالفشـل. فـي حيـن نجـح آخـرُ فـي التوصـل إلـى اتفـاقٍ مـع مَـنِ اسـتولى علـى أرضـه، علـى تقاسُـمِ الأربـاح هـذا العـام علـى أن تعـودَ لـه الأرضُ فـي العـام القـادم.[٥٩] وبالنسـبة للأشـخاص الذيـن لديهـم ثبوتيـات مُسـجَّلة رسـميًّا (سَـنَد التمليـك، كاتـب العـدل) هنـاك خشـيةٌ مـن العـودة والمطالبـة بحقوقهـم، تحـت وطـأة التهديـد والخـوف علـى أمنهـم فـي ظِـلِّ هيمنـة هـذه الجماعـات علـى الأرض وتمتعهـا بالنفـوذ والسـلطة، وفـي ظـل غيـابٍ شـبهِ تـامٍّ لسُـلطة القضـاء والشـرطة.[٦٠]

تُشـكِّل الأوضـاعُ الاقتصاديَّـة والأمنيَّـة المُعقَّـدة، وخصوصًـا لِلَّاجئيـن المقيميـن فـي المخيمـات فـي لبنـان مـن أهالـي القُصيـر، ضغوطًـا تدفـع أهالـي القُصيـر لبَيـع عقاراتهـم. وهنـاك الكثيـر مـن عمليـات الشـراء تتـم مـن عناصِـرَ تابعـةٍ لحـزب اللـه أو شـيعة لبنانيّيـن أو سـوريّين بدعـمٍ مـن حـزب اللـه لقـاءَ مبالِـغَ ماليَّـةٍ قـد تكـون كبيـرة؛ مُسـتغلين إهمـالَ أحوال اللاجئيـن حيـث يتـم دَعـمُ بعـضِ سماسِـرة العقـارات لشـراء مُمتلكاتهـم فـي القُصيـر.[٦١]

# الهوامش

(١) حسين إبراهيم قطريب، سوريا المفيدة والتغيير الديموغرافي، موقع **مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة**، ٣ أيار ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ٢٣ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ١٦:٠٠.

(٢) حسن قطريب، المصدر السابق.

(٣) أسماء القرى والمزارع التابعة للقصير، **المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري**، المجلد الرابع، مركز الدراسات العسكريَّة، ١٩٩٠، ص ٥٧٢. تاريخ الدخول: ١٣ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ١٩:٠٠.

(٤) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع نشطاء وأهالي من منطقة القُصير.

(٥) **معركة القُصير التداعيات والآثار**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أيار ٢٠١٣، ص ٢.

(٦) (6) Fabrice Balanche, **From the Iranian corridor to the Shia Crescent**, Hoover Institution, Stanford University, 17 August 2018.

(٧) Fabrice Balanche, **Sectarianism in Syria's Civil War**, Geopolitical Study, The Washington Institute for Near East Policy, 2018, page 36.

(٨) شارل أبي نادر، سليماني في معركة الدفاع عن سوريا... نقطة التحوّل في الميدان، موقع الميادين، ٤ كانون الثاني ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٦ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٧:٠٠.

(٩) تمام أبو الخير، الإرث الدامي... رجل إيران الذي صنع اسمه من أشلاء الأبرياء، موقع **نون بوست**، ٨ كانون الثاني ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ١٩ نيسان ٢٠٢٣، الساعة: ١٠:٠٠.

(١٠) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع ناشطين من القُصير.

(١١) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع لاجئين في لبنان يتحدّرون من منطقة القُصير.

(١٢) The Mobility of Displaced Syrians: An Economic and Social Analysis, **World Bank**, Washington, DC, 2020, entry date: 11 March 2023, entry hour: 15:00

(١٣) نصرالله: المقاومة لن تسمح بكسر ظهرها وسندها السوري، **السفير**، العدد ١٢٤٨٨، ٢٧ أيار ٢٠١٣، ص ٤.

(١٤) المعارضة السوريَّة تنسحب من بلدة القُصير الاستراتيجيَّة، موقع **وكالة رويترز**، ٥ حزيران

٢٠١٣، تاريخ الدخول: ٣٠ آب ٢٠٢٣، الساعة: ٠٩:٣٥.

(١٥) القذائف تشعل القُصير... والنيران تحصّن دمشق، **الأخبار**، العدد ٢٠٢٠، ٤ حزيران ٢٠١٣، ص ١٠.

(١٦) المعارضة السوريَّة تنسحب من بلدة القُصير الاستراتيجيَّة، موقع **وكالة رويترز**، ٥ حزيران ٢٠١٣، مصدر سابق.

(١٧) حزب الله يوزّع الحلوى ابتهاجًا بسقوط القُصير، موقع **الجزيرة**، ٥ حزيران ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ٥ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٥:٠٠.

(١٨) ربيع حداد، قتلى وجرحى «حزب الله»...، موقع **سرّي للغاية**، ٢٠ نيسان ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٥ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٥:٠٠.

(١٩) تهجير مضايا والزبداني، الجريمة المركبة وأفق العودة، موقع الرابطة **السوريَّة لكرامة المواطن**، ٥ أيار ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٦ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٥:٣٠.

(٢٠) مقابلات ميدانيَّة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع لاجئين سوريّين في لبنان يتحدّرون من مناطق القُصير.

(٢١) مصادر لـ«الخليج أونلاين»: «حزب الله السوري» يد إيران الجديدة القويَّة، موقع **الخليج أونلاين**، ١٧ كانون الثاني ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٧ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٦:٠٠.

(٢٢) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع لاجئين في لبنان يتحدّرون من القُصير.

(٢٣) مقابلة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع صحفي وناشط مدني من مدينة القُصير.

(٢٤) المصدر السابق.

(٢٥) خافيير غونزالز، الأرض والسكن والاحتلال والتدمير في مناطق استراتيجيَّة: حالة القُصير في سورية، موقع **مركز حرمون**، ٣٠ تموز ٢٠٢٠، مصدر سابق، ص ٦.

(٢٦) معركة القُصير التداعيات والآثار، موقع **المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات**، ٢٣ أيار ٢٠١٣، ص ٢. تاريخ الدخول: ٦ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٩:٠٠.

(٢٧) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع لاجئين في لبنان يتحدّرون من منطقة القُصير.

(٢٨) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع ناشطين يتحدّرون من منطقة القُصير.

(٢٩) **Humanitarian Needs Overview: Syrian Arab Republic**, OCHA, February 2022, p 102 ,entry date: 23January 2023 ,entry hour: 11:00

(٣٠). IBID

(٣١) معلومات متقاطعة من مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع صحفيّين ونشطاء وأهالي من منطقة القُصير.

(٣٢) مقابلة ميدانيَّة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع ناشط مدني من مدينة القصير وريفها.

(٣٣) «حزب الله» اللبناني رأس حربة التغيير الديمغرافي في حمص، موقع **المرصد السوري لحقوق الإنسان**، ٧ أيلول ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ١٠ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٩:٠٠.

(٣٤) مقابلة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع إمام جامع سابق في القُصير.

(٣٥) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع ناشطين وأهالي من القُصير وريفها.
(٣٦) مقابلة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع إمام جامع سابق في القُصير.
(٣٧) المصدر السابق.
(٣٨) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع نشطاء وأهالي من القُصير وريفها.
(٣٩) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع لاجئين في لبنان يتحدّرون من منطقة القُصير.
(٤٠) المصدر السابق.
(٤١) المصدر السابق.
(٤٢) أهالي القُصير يشكون من انقلاب حزب الله على رفاق السلاح، موقع **الشرق الأوسط**، ١٩ آذار ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٩ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٣:٠٠.
(٤٣) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع لاجئين في لبنان يتحدّرون من القُصير.
(٤٤) جلال سليمان، حزب الله في القُصير: هل بات ريف حمص صالحًا للحياة بعد أعوام من انتهاء المعارك، موقع **الحلّ**، ١٦ تشرين الثاني ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٥ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٩:٠٠.
(٤٥) ميليشياتُ حزبِ الله تمنعُ أصحابَ الأراضي الزراعيَّةِ من جني محاصيلِهم في القُصير، موقع **المُحرّر**، ٢٣ تشرين الأول ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ١٦ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ٩:٠٠.
(٤٦) ياسين أبو فاضل، تغيير ديمغرافي جديد في القُصير وشكوى تفضح أساليب ميليشيا أسد، موقع **أورينت نت**، ١١ أيار ٢٠٢٢ ، تاريخ الدخول: ٢٢ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٢:٠٠.
(٤٧) خافيير غونزالز، الأرض والسكن والاحتلال والتدمير في مناطق استراتيجيَّة: حالة القُصير في سورية، موقع **مركز حرمون**، ٣٠ تموز ٢٠٢٠، مصدر سابق، ص ١٠.
(٤٨) عودة حوالى ألف سوري إلى مدينة القُصير في ريف حمص بعد ٧ سنوات من التهجير، موقع **القدس العربي**، ٧ تموز ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٢٣ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ٩:٠٠.
(٤٩) خافيير غونزالز، الأرض والسكن والاحتلال والتدمير في مناطق استراتيجيَّة: حالة القُصير في سورية، موقع **مركز حرمون**، ٣٠ تموز ٢٠٢٠، مصدر سابق، ص ١٥.
(٥٠) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع نشطاء ولاجئين في لبنان من القُصير.
(٥١) مصير القُصير وأهلها بيد ميليشيا حزب الله، موقع **حلب اليوم**، ٢١ تموز ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ١٦ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٣:٠٠.
(٥٢) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع نشطاء ولاجئين في لبنان من القُصير.
(٥٣) ضياء عودة، القُصير السوريَّة بعد ٨ سنوات... «الكلمة لحزب الله» والأهالي مهجرون، موقع **الحرّة**، ٧ حزيران ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢٢ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ٨:٠٠.
(٥٤) عرَّف القانون المدني السوري في المادة (٨٦) منه العقارات الأميريَّة بأنّها: «العقارات التي تكون رقبتها للدولة ويجوز أن يجري عليها حق التصرف»، للمزيد انظر/ي: مصطلحات عقاريَّة... العقار الأميري، موقع **عنب بلدي**، ١٣ تموز ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٣٠ آب ٢٠٢٣، الساعة: ١٠:٣٣.
(٥٥) المادة ١ من القانون ٦١ لعام ٢٠٠٤.
(٥٦) معلومات تمَّ الحصول عليها من خلال مقابلاتٍ فرديَّة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع لاجئين سوريّين يقيمون في البقاع وينحدرون من مدينة القُصير.

(٥٧) مقابلة فرديَّة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع أحد اللاجئين السوريّين من قرية زيتا في ريف القُصير.

(٥٨) مقابلات أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع لاجئين في لبنان يتحدرون من القُصير.

(٥٩) المصدر السابق.

(٦٠) المصدر السابق.

(٦١) المصدر السابق.

الفصل الثالث

# النشاط الاقتصادي في القْصير في ظِـلِّ حزب الله

### ١) الواقع الاقتصادي بعد معركة القُصير

تَضرَّرَ الاقتصادُ المحلي في القُصير بسبب المعارك الدائرة في المدينة وسيطرة قوات النظام مَدعومة بحليفها حزب الله، كما تعرضَتِ البنيةُ التحتيَّة لدمارٍ واسع (كهرباء، ماء، شبكات الري والصرف الصحي...).[١] تُقدَّرُ الأضرارُ التي لحقَتْ بإمدادات المياه والبُنية التحتيَّة للصرف الصحي في القُصير بأكثر من ٨٠٪ مُدمَّرة بشكلٍ جُزئي، و٢٠٪ مُدمَّرة بشكلٍ كامل.[٢] أم عن الوضع التشغيلي لإمدادات المياه والبُنية التحتيَّة للصرف الصحي في القُصير، فمُعطَّلٌ بنسبة ١٠٠٪،[٣] في حين تبلغ طول الطُّرقِ المتضررة في مدينة القُصير ٧٨,٤٧١ متر مربع.[٤] الكثير من الوحدات السكنيَّة كذلك مُتضررة إما بشكلٍ كامل أو بشكل جزئي، حيث بلغَتْ في مدينة القُصير ٢٩,٤٪.[٥] إلى جانب تَعطل في إمكانيَّة الاستثمار السَّكَني وتدهور المساحة المعيشيَّة، مع تَغيرٍ خطيرٍ في حقوق الملكيَّة والأراضي.[٦] هذا فضلًا عن دمار المُمتلكات وسرقة الأراضي الزراعيَّة والمحاصيل والمُعدات المستخدمة فيها.

## ٢) اقتصاد «حزب الله» في القُصير

### أ- معابر التهريب

منذ أن نجحَ «حزب الله» في السيطرة الكاملة على منطقة القُصير، صارَتْ معبرًا حدوديًّا مفتوحًا لعمليات التهريب المختلفة ومصدرًا رِبحيًّا له وللنظام السوري. ويمتاز هذا الطريقُ عبر القُصير بسهولته، مقارنةً بمعبر المصنع الحدودي في ريف دمشق، وذلك بسبب التداخُلِ بين الأراضي السوريَّة واللبنانيَّة في أرياف القُصير وتَلْكَلَخ، ووجود بعض العلاقات العائليَّة العشائريَّة بين أهالي المنطقتَين الحدوديتَين في لبنان وسوريا. وقد شملَتْ عملياتُ التهريب فيها كل شيء، ابتداءً بأنواع الأسلحة المختلفة، والمحروقات من مادتي البنزين والمازوت والغاز المنزلي، إلى الخضار والفواكه وأثاث المنازل، وانتهاءً بالمخدرات والدخان، خاصةً أن المنطقةَ باتت بابًا مفتوحًا على مصراعَيه، ولكن تحت تنظيمٍ عالٍ وكبير، فلم يَعُدِ التهريبُ التقليديُّ موجودًا، وبات الحزب يدخلُ ويخرجُ بأرتالٍ ولا أحد يستطيع أن يقفَ في وجهه.[٧]

وبحسب التقارير الصحافيَّة، يُورِد الكاتبُ طوني بولس أن دمشقَ كانت تَعتمِدُ على نفوذ حلفائها في لبنان وفي الطليعة حزب الله للإفادة من السوق اللبنانيَّة من أجل الالتِفاف على العقوبات الأميركيَّة والأوروبيَّة، واستيراد مواد استراتيجيَّةٍ لاسيَّما المحروقات عبر مرفأ بيروت؛ ليَتِمَّ بعدها تهريبُ جزءٍ من البضاعة المستوردة من تجار وشركات لبنانيَّة إلى الأراضي السوريَّة.[٨] ويتم ذلك عبر مجموعةٍ من المعابر غير الشرعيَّة، والتي تَعرِفُ الأجهزةُ الأمنيَّة اللبنانيَّة بوجودها، إلا أن هناك مظلاتٍ سياسيَّةً تُقيِّد عملَ الجهات الأمنيَّة، وأبرز هذه المعابر: العويشات (عكار)، حنيدر (عكار)، هيت، الحج عيسى، البويت (القُصير)، الكنسيَّة، المراني، حوش السيّد

أحد أبراج المراقبة التابعة للجيش اللبناني
على الحدود اللبنانية – السورية

علي (القْصير)، القصر، حرف السماقة (بعلبك)، مراح الشعب (بعلبك)، المشرفة، الطفيل (بعلبك).[٩] وأعلن المجلسُ الأعلى للدفاع اللبناني في عام ٢٠١٩ إنَّ ١٢٤ معبرًا غير رسميٍّ تَمُرُّ خلالها عملياتُ تهريبٍ واسعةٌ بين البلدَين.[١٠]

تُشكِّل منطقةُ شرق الهرمل الحدوديَّة بيئةً حاضِنةً لتَنقُّل مُقاتلي «حزب الله»، لاسيَّما منطقتي القْصير والقصر الواقعتَين تحت نُفوذه ورقابته المُحكَمة. كما أن أكثرَ النقاط التي تتم فيها عملياتُ التهريب تُوجَد في جرود بلدة رأس بعلبك في البقاع الشمالي وبلدة القْصير، إذ تَشهدُ حركة مُشاة يوميَّة من الجانبين اللبناني والسوري.[١١] و يدفع كبارُ المهربين في القْصير الرِّشَا والإتاوات لمَسؤولي الحزب ومكتب أمن «الفرقة الرابعة» بشكلٍ شهري، مقابل تهريب بضاعتهم من لبنان إلى سوريا، وضمان حماية مستودعاتهم من الجمارك ودوريات التموين.[١٢]

وقد تم تخصيصُ كُلِّ نوعٍ من أنواع التهريب تحت قيادة ميليشيا مُحدَّدة من قِبل الحزب وإدارة مكتب ماهر الأسد، ويُمنَع من خلال هذا التنسيق تَدخُّل أيِّ ميليشيا بعملِ الأخرى، فلكُلٍّ اختصاصُه ومجالُ عملِه.[١٣] وبحسب أحد المُسوِّقين لخطاب حزب الله على وسائل الإعلام الشيخ صادق النابلسي، شقيق مسؤول العلاقات الإعلاميَّة للحزب، يَعتبر الأخير أن التهريبَ جزءٌ لا يتجزأ من عمليَّة «المقاومة»؛ وذلك لأهميته في تمويل اقتصاد الحزب ومما يظهر أن

حـزب اللـه فـي عقيدتـه وأفـكاره يمكنه السَّـماح لنفسـه بالقيـام بالأعمال المُخالفـة للقانـون وغيـر الشـرعيَّة في سـبيل تحقيـق أهدافه.[١٤]

**ب- الحشيش زراعةً وتهريبًا**

زراعة الحشيش

فـي نيسـان عـام ٢٠٢١، نشـر المرصـدُ السـوري لحقـوق الإنسـان تقريـرًا يُسـلِّطُ فيـه الضـوء علـى قضيَّـة تَفشِّـي المخـدرات فـي مختلـف مناطـق سـيطرة النظـام. وقـد ربـط التقريـر، انتشـارَ المخـدرات فـي سـوريا أكثـر مـن أيِّ وقـتٍ مضـى، بدخـول حـزب اللـه والميليشـيات الإيرانيَّـة، عمليَّـة الصـراع إلـى جانـب النظـام فـي سـوريا.[١٥] وتتـم هـذه العمليَّـةُ تحـت سـيطرة وإشـراف مجموعـاتٍ عسـكريَّة تابعـةٍ لحـزب اللـه، وهـي المسـؤولة عـنِ انتشـار مـادة الحشـيش والحُبـوب المُخـدِّرة بكثافـةٍ فـي مناطـق النظـام؛ حيـث تدخـل شـحناتُ الحشـيش مـن لبنـان عبـر المعابـر غيـر الرسـميَّة التـي يُسـيطِر عليهـا الحـزب فـي ريـف دمشـق، منطقـة سـرغايا الحدوديَّـة مـع لبنـان وعسـال الـورد التـي تُعَـدُّ مـن أبـرز المناطـق التـي يتـم إدخـالُ شـحنات الحشـيش منهـا إلـى الأراضـي السـوريَّة، بالإضافـة إلـى المعابـر غيـر الرسـميَّة مـع القُصيـر فـي ريـف حمـص.[١٦] علـى الرغـم مـن أن حكومـةَ النظـام تُعلِـن بيـن الحيـن والآخـر عـن مُداهمـاتٍ وضبـطِ كميـاتٍ مـن المخـدرات فـي منطقـة القُصيـر،[١٧] التـي قـد تكـون لأشـخاصٍ يَعملـون خـارج الشـبكات التـي يُديرهـا الحـزب بالتنسـيق مـع قـوات «الفرقـة الرابعـة» بهـدف احتـكار هـذه التجـارة.

تصنيع الحشيش

حـوَّلَ «حـزب اللـه» و«الفرقـة الرابعـة» أراضـي نحـو ٢٠ قريـة وبلـدة فـي ريـف القُصيـر إلـى مُقاطعـةٍ خاصَّـةٍ بهـم لإنتـاج نبتـة «القِنَّـب الهنـدي والحشـيش»، الذي يتـم شـحنُه لاحقًـا إلـى لبنـان لمُعالجتـه، مـن ثـمَّ العمـل علـى تصديـره نحـو بلـدانٍ متفرقـة، فضـلًا عـن إغـراق السـوق السـوريَّة بالمخـدرات والحشـيش علـى حَـدٍّ سـواء. وتعتبـر قُـرَى حاويـك، زيتـة، القصـر والعقربيَّـة الواقعـة فـي ريـف القُصيـر الغربـي والمُحاذِيـة للحـدود السـوريَّة اللبنانيَّـة مـن أشـهر القـرى التـي تشـهد زراعـة «القِنـب الهنـدي»، نظـرًا لخُصوبَـة أراضيهـا التـي تُوفِّـر المنـاخَ المناسـب لتلـك الزراعـات.[١٨]

وتتركـز عمليـاتُ الزراعـة وتهريـب الحشـيش التـي تُـدار مـن قِبَـل الفرقـة الرابعـة وحـزب اللـه بعـد عـام ٢٠١١، فـي منطقـة غـرب العاصـي لقربهـا من الحـدود اللبنانيَّـة.[١٩]

### ج- الكبتاغون[I] تصنيعًا وتجارةً

تنتشـر صناعـةُ حبـوب الكبتاغـون بشـكلٍ خـاصٍّ فـي مناطـق القُصيـر وريـف دمشـق الخاضعـة لسـيطرة «حـزب اللـه» ومجموعـات تابعـة

(I) هو نوع من أنواع المخدّرات، اسمها العِلمي فينيتايلين، وهي عبارةٌ عن حبوب مُصنَّعة من مادّتَي الأمفيتامين (المُنبه للجهاز العصبي المركزي) والتيوفيلين (وهو الموسع للشعب الهوائيَّة).

للنظـام السـوري. ويُوجَـد فـي هـذه المناطـق، حتـى عـام ٢٠١٧، أكثـر مـن ٦٠ مصنعًـا بيـن كبيـرٍ وصغيـر لإنتـاج حبـوب الكبتاغـون المُنشّـطة، يتـم تسـويقها تحـت سـلطة الأمـر الواقـع التـي تُحكِـمُ قبضتَهـا علـى المعابـر الشـرعيَّة وغيـر الشـرعيَّة بيـن البلدَيـن وعلـى المرافـئ العامة.[٢٠] وتُشـكِّل منطقـةُ القُصيـر أحـدَ أهـم المراكـز التـي يتـم إنتـاج الحشـيش والكبتاغـون فيهـا علـى حـدٍّ سـواء.[٢١]

تُمثِّـل تجـارةُ الكبتاغـون اقتصـادًا غيـر مشـروعٍ سـريعَ النمـوِّ فـي منطقـة الشـرق الأوسـط والبحـر الأبيـض المتوسـط. فـي حيـن بلغـت قيمـةُ التجـارة فـي هـذه المنطقـة ٣,٤٦ مليـار دولار فـي عـام ٢٠٢٠، وتُقـدَّر القيمـة المحتملـة لهـذه التجـارة فـي عـام ٢٠٢١ بأكثـر مـن ٥,٧ مليـار دولار.[٢٢]

نَشـرَ مركـزُ التحليـلات العمليـاتيَّـة والأبحـاث (مركـز كـور) العديـدَ مـن الأبحـاث والدراسـات الخاصَّـة باقتصـاد الحـرب فـي سـوريا، كان آخرهـا تقريـر عـن شـبكة العلاقـات بيـن المُهرِّبيـن والأجهـزة الأمنيَّـة التابعـة للنظـام بالإضافـة لـ«حـزب اللـه» فـي الجنـوب السـوري. تمـت الإشـارةُ فـي نهايـة التقريـر إلـى أن أحـدَ الشـخصيات البـارزة مـن قبيلـة الرمثـان المُتواجـدة فـي باديـة الحمّـاد التـي تمتـد مـن شـمال المملكـة العربيَّـة السـعوديَّة مُـرورًا بغـرب الأردن إلـى الجنـوب الشـرقي مـن سـوريا وحتـى شـرق العـراق، يتمتـع بعلاقـاتٍ واسـعة ووثيقـة مـع الأوسـاط السياسـيَّة والأجهـزة الأمنيَّـة السـوريَّة.

أمّـا دورُ حـزب اللـه، فهـو كحلقـةِ وَصـلٍ ضمـن سلسـلة التوريـد التـي تبـدأ عنـد الحـدود بيـن لبنـان وسـوريا ومنطقـة القُصيـر مـن ثـمَّ إلـى دمشـقَ عبـر عـدةِ نقـاطٍ رئيسـة ثـمَّ إلـى محافظـة السـويداء؛ ليَتِـمَّ تخزيـنُ الحشـيش والكبتاغـون ضمـن منشـآتٍ تابعـة للجيـش مرتبطـةٍ بالأجهـزة الأمنيَّـة وتجهيزهـا ليتـم شـحنُها لاحقًـا إلـى عـدة دول.[٢٣]

صور لإحدى مصانع الكبتاغون من الداخل

وأشارت صحيفةُ الغارديان في تقريرٍ لها إلى أن منطقةَ الحدود بين سوريا ولبنان هي منطقةٌ يَنعدِمُ فيها القانونُ ويعمل المهربون بتواطؤ مع المسؤولين في كلا الجانبين، حيث يقوم المهربون بنقل المنتجات النهائيَّة من الحشيش والكبتاغون على طريق البقاع ـ القُصير ومن ثمَّ شمالًا باتجاه موانئ طرطوس واللاذقيَّة.[٢٤]

وعليه، نجد أن مدينةَ القُصير تُشكِّل حلقةَ وَصلٍ لطُرقِ تهريب الحشيش والمُخدِّرات في سوريا، من القُصير شمالًا نحو الموانئ السوريَّة، ومن القُصير جنوبًا نحو المنطقة الجنوبيَّة، فالأردن وصولًا إلى السعوديَّة.

### د- القُصير محطةٌ لتَهريب البشر

بات تهريبُ الأفراد بين لبنان وسوريا أمرًا اعتياديًّا يوميًّا؛ وذلك للخبرة التي اكتسبَتها ميليشياتُ التهريب بين البلدين على مدى أكثر من عشر سنوات. امتدتْ شبكاتُ تهريب الأفراد لتَصِلَ إلى الحدود التركيَّة السوريَّة. ولحزب الله دوره ووجوده المركزي في تهريب الأشخاص. وأحد طرق التهريب تبدأ من لبنان إلى منطقة القُصير السوريَّة الخاضعة لسُلطة حزب الله عبر المعابر غير الشرعيَّة التابعة له، ليتم نقلُ البشَر عبر عناصر من الأمن السياسي إلى مدينة حلب عبر طريقٍ عسكريٍّ خاصٍّ ضمن سياراتٍ لا تخضع

للتفتيش؛[٢٥] وذلك عبر سلسلةٍ مُكوَّنة من قادة قوات لواء القدس[I] وضباط بفرع الأمن السياسي، وبالتعاون مع عناصر حزب الله وبعض الأفراد من قوات قسد.[II]

إحدى المنازل التي يتم الإستعانة بها لتهريب البشر في مدينة القصير

اللافتُ في الأمر أن تكاليفَ هذه الرحلات ليست كبيرة، وهي تتراوحُ ما بين ١٥٠ و٢٠٠ دولار لكُلِّ راكب، أمّا العائلات فتدفعُ مبالغَ أكثر من ذلك. وتُدفَع هذه المبالغُ على مراحلَ وعند كُلِّ نقطةٍ يُنسِّق فيها المسؤولون عن المعابر حتى وصول الراكب إلى وجهته.[٢٦]

هذا بالإضافة إلى عمليات الاختطاف والابتزاز التي يتعرضُ لها الأشخاص من قِبل أفراد هذه السلسلة من الميليشيات، حيث تكثر حالاتُ الخَطفِ وطلب مبالغ الفدية التي تبلغ حوالى ٥٠٠٠$ في حالة الأشخاص الذين يَنتمون لعائلاتٍ مَيسورة ماديًّا، أو في حالة محاولة بعض الأشخاص سلوك طرق تهريب دون علم هذه الشبكات.[٢٧] قد لا يُشكِّل تهريبُ الأشخاص اقتصادًا هامًّا على مستوى القيادات العليا لـ«حزب الله» وقوات النظام السوري، بالنظر إلى حجم المبالغ التي يتم الحصول عليها لقاء هذه العمليات، ولكن

(I) جماعة فلسطينيَّة تعمل في حلب موالية لحكومة البعث، تشكّلت في عام ٢٠١٣ من قِبل المهندس محمد السعيد بعد التنسيق مع الجبهة الشعبيَّة لتحرير فلسطين ـ القيادة العامّة.

(II) قوّات سوريا الديمقراطيَّة يشار إليها باختصار قسد، هو تحالف متعدّد الأعراق والأديان للميليشيات التي يغلب عليها الطابع الكردي، وكذلك للميليشيات العربيَّة والآشوريَّة/السريانيَّة، وكذلك لبعض الجماعات التركمانيَّة والأرمنيَّة والشركسيَّة والشيشانيَّة.

يبدو أنه تِكتيكٌ تعتمده لتَمويل العناصر والمجموعات التابعة لها، بغيةَ كَسبِ ولائها.

## هـ- القْصير مركز لـتَهريب المحروقات وأخواتها...

قوافل تهريب على المعابر غير الشرعية

وكما تهريب البشر، كان لحزب الله دوره في تهريب المواد المتنوعة (من مواد غذائيَّة ومحروقات وأدوات «معفشة»[I] من النظام السوري وسيارات وصولًا إلى السلاح)، وبعد حصول نوعٍ من الاستقرار في مناطق القْصير، ازدادَتْ عمليات التهريب تدريجيًّا، وبشكلٍ لافت تهريب المشتقات النفطيَّة ابتداءً من نهاية عام ٢٠١٩، بسبب الهبوط الكبير لسعر الليرة اللبنانيَّة في مقابل الدولار من جهة، وأزمة المَحروقات التي يُعاني منها النظام السوري من جهة؛ حيث يتم تهريبُ المحروقات من لبنان لبَيعه في السوق السوداء في سوريا. وتشير المعلوماتُ إلى أن لبنان يَستوردُ سنويًّا ثمانية ملايين لتر بنزين، في حين أن حاجةَ السوق المحليَّة لا تتجاوز الأربعة ملايين.[٢٨]

بالإضافة إلى تحويل «حزب الله»، بالتعاون مع شبكات تُجار الحزب

(I) التعفيش، هو مصطلحٌ ارتبط بجيش النظام السوري، والمقصود به عمليَّة سرقة أثاث المنازل وأدواته الكهربائيَّة بعد احتلال تلك القوّات للمدن والقرى الخالية من سكّانها.

تهريب صهريج مازوت على طريق ترابي لمعبر غير شرعي

الموالين للنظام السوري، مدينة القُصير ومحيطها إلى ما يُشبِه «السوق الحرّة»، إذ تدخلُ الموادُّ المُهرَّبة من لبنان عبر معابر غير مشروعة، وتُجهَّز في «هنغارات» يُشرِف عليها عناصرُ من الحزب، تحت غطاء أنها مراكز لوجستيَّة للحزب. أمّا شاحنات المازوت والبنزين فتعبر مباشرةً إلى دمشق أو مدن أخرى، ويجري استبدال لوحات التسجيل اللبنانيَّة بأخرى سوريَّة للتمويه.[٢٩]

ومن ناحيةٍ ثانية، يستغلُّ الحزبُ نفوذَه في محافظة حمص لتَأمين الإمدادات اللوجستيَّة من المشتقات النفطيَّة ونقلها إلى الداخل اللبناني، بعد استِجرارها من مناطق شرق الفُرات وحقل الشاعر. قام حزبُ الله ببناء عددٍ من خزانات إفراغ النفط الخام في بلدة شنشار بريف حمص الغربي عام ٢٠١٩، حيث تعمل شركاتٌ خاصة، تابعة للحزب، على نقله من شمال شرق سوريا، ومن آبار النفط الموجودة في ريف حمص الشرقي (حقل الشاعر، المحطة الثالثة T٣) قبل أن يتمَّ إعادةُ نَقلِه عبر صهاريجَ أخرى إلى داخل الأراضي اللبنانيَّة عبر منافذ غير رسميَّة بين سوريا ولبنان والتي يديرها حزب الله.[٣٠] وسبق أن قامَتْ قواتُ النظام التابعةُ للفرقة ١٨ بإخلاء بعضِ مواقعها العسكريَّة بريف حمص الجنوبي، بشكلٍ مفاجئ، ليقومَ على إثرها عددٌ من عناصر حزب الله اللبناني بالتمركز ضمن الحواجز التي تمَّ إخلاؤها على أطرافِ قرية شنشار المُتاخِمة

لأوتوستراد حمص ـ دمشق، وذلك بهدف ضمان عدم وصول أيِّ معلوماتٍ عن تحركات الحزب في المنطقة، وكذلك ضمان سريَّة عمليَّة نقل النفط المُخزَّن داخل الخزانات التي تم بناؤها لهذا الغرض مطلع عام ٢٠١٩.[٣١]

وعلى صعيد تهريب المواد الغذائيَّة بين البلدَين، يُدير حزب الله هذه العمليات من خلال سيطرته على الحدود السوريَّة اللبنانيَّة وتحديدًا في مناطق القُصير والزبداني.[٣٢] بلغتْ عمليّاتُ تهريب المواد الغذائيَّة ذروتها في عام ٢٠٢٠، وذلك يعود لسببين أساسِيَّين: الأول، هو دخول قانون «قيصر» حَيِّزَ التنفيذ في حزيران من نفس العام.[٣٣] والثاني، هي القيود المتعلقة بانتشار فايروس كورونا آنذاك. ناهيك عن الأوضاع المعيشيَّة والاقتصاديَّة التي يُعاني منها لبنان وسوريا معًا، على سبيل المثال دون الحصر، تهريب الطحين اللبناني المدعوم إلى سوريا.[٣٤]

يُذكَر أن التهريبَ بين البلدين تَغيَّرَ اتجاهُه مراتٍ عدة، خلال السنوات الماضية، وهذا التغيرُ كان بحسب تغير مستوى الدعم في كِلَا البلدين، بمعنى أنه عندما يكون سعرُ الوقود أرخصَ في بلدٍ ما، يكون هناك حافزٌ أعلى للتهريب باتجاه البلد الآخر.[٣٥]

ونشرت جريدةُ الأخبار اللبنانيَّة العامَ الفائت مقالًا حول الفوسفات السوري، في خِضَمِّ الضجة الإعلاميَّة التي تَحدَّثَتْ عن قيام العديد من الدول الأوروبيَّة بالتعامُلِ مع النظام واستيراد الفوسفات منه. تطرقَ التقريرُ إلى أن الجهاتِ المُستثمِرةَ في قِطاع الفوسفات هي إيرانيَّةٌ وروسيَّة.[٣٦] ولكن تحدثَتِ العديدُ من المصادر على خلافاتٍ بين المستثمرين الروس والإيرانيّين من خلال تضارُبِ المصالح بين الوكلاء على الأرض السوريَّة.[٣٧] ويُعتبر مَنجمُ خنيفيس في بادية تدمر من أهم مناجم الفوسفات، حيث يقوم حزب الله أيضًا

بتهريب الفوسفات إلى لبنان نحو وجهةٍ غير معلومة، من خلال القْصير بعد استخراجه من سوريا.[٣٨]

### ٣) العين الروسيَّة على نشاط الحزب وإيران

شهد عام ٢٠١٩ مُحاولاتٍ روسيَّةً لفَرضِ وجودها على الحدود السوريَّة ـ اللبنانيَّة، عبر نشر وحداتٍ من الشرطة العسكريَّة الروسيَّة على كامل المنافذ الحدوديَّة الرسميَّة بين البلدَين، فضلًا عن المنافذ غير الرسميَّة في أقربِ وقت، وخاصةً في منطقتي القْصير والقلمون.[٣٩] أثار القرارُ الذي أبلَغه قادةٌ عسكريون روس في سوريا امتعاضًا بين أوساط مؤيدي النظام، وخاصةً المُوالين لحزب الله اللبناني الذي يتخِذُ من المنافذ الحدوديَّة معابرَ تهريبٍ للسلاح والمخدرات والتجارة غير الشرعيَّة بعيدًا عن عيون السلطات الأمنيَّة اللبنانيَّة. وقبل شهرٍ من هذه الحادثة، دعَتْ موسكو إلى خروج كُلِّ القوات الأجنبيَّة من سوريا، وتبدو هذه الدعوة ضِمنِيًّا أنها تشمل إيران وحزب الله.[٤٠] كانتِ الخطة، التي لم يتم تَنسيقُها مع إيران، السيطرة على معبر جوسيه ثمَّ الاقتراب إلى منطقة القلمون. تم صَدُّ القوات الروسيَّة والسوريَّة حينها وتراجعَتْ بعد أقل من ٢٤ ساعة من وصولها، وسرعان ما سارعَ حزبُ الله عندها إلى تعزيز وجوده حول القْصير. هذه الحادثة ربما كانت مُحاولةً روسيَّة لاختبار رَدِّ فعل إيران،[٤١] ولم تَرِدْ تقاريرُ مباشرة عن تكرار حدوث مجابهاتٍ مُماثِلَة.[٤٢]

يظهر هذا التوترُ في منطقة حمص في استغلال إيران الانشغال الروسي في أوكرانيا، لنَشرِ عناصرَ تابعةٍ لها في موقعٍ استراتيجيٍّ في حمص بعد انسحاب فصائلَ حليفةٍ لروسيا، حيث وصلَتْ تعزيزاتٌ ضخمةٌ من الحرس الثوري الإيراني وحزب الله وعناصر

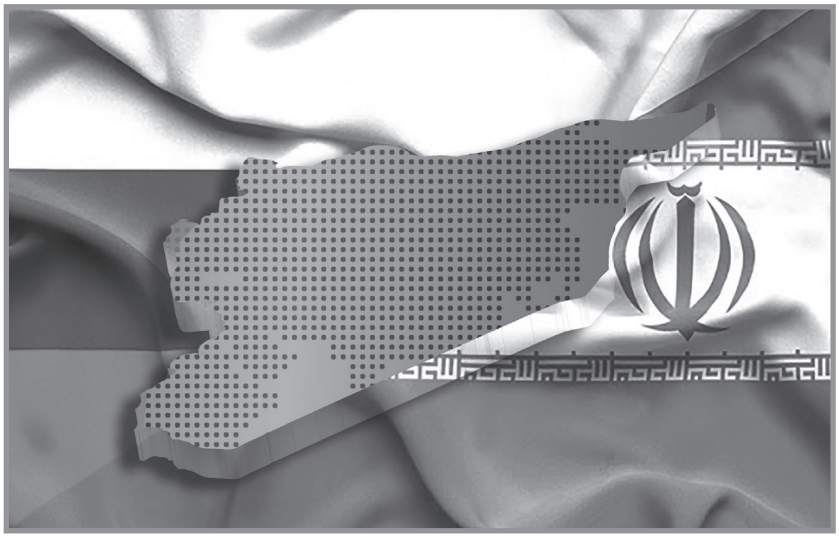

خارطة سوريا في ظلال إيران وروسيا

من «الفرقة الرابعة» إلى مستودعاتِ مهين العسكريَّة شرق حمص. هذه التحركاتُ جاءت عقب عمليَّة انسحابٍ كامل للقوات الروسيَّة بما في ذلك عناصر من مجموعات «فاغنر» ونحو ٢٠٠ عنصر من «الفيلق الخامس» المُوالي لروسيا. وبهذه العمليَّة باتَتْ مستودعاتُ مهين الاستراتيجيَّة خاضعة بشكلٍ كامل للميليشيات الإيرانيَّة والفرقة الرابعة وحزب الله اللبناني.[٤٣]

ومن جانبٍ آخر، تشهد الأراضي السوريَّةُ مؤخرًا العديدَ من الخلافات بين الفرقة الرابعة وعناصر حزب الله في عددٍ من المناطق السوريَّة، تحديدًا على الحدود السوريَّة العراقيَّة في محافظة دير الزور. وعلى الحدود السوريَّة اللبنانيَّة،[٤٤] تحديدًا في مناطق ريف حمص الغربي والجنوبي الغربي المحاذي للحدود اللبنانيَّة. تَبرزُ هذه الخلافاتُ من خلال «الإجراءات القاسية»[٤٥] التي تُجاهِد الفرقة الرابعة في فَرضها على عناصر حزب الله في المنطقة المذكورة، التي تأتي في الغالب على خلفيَّة التنافس على الغنائم والمكاسب الاقتصاديَّة.[٤٦]

بالنظـر إلـى اسـتراتيجيَّة المَـدِّ والجـزر التـي يقـومُ بهـا حـزب اللـه فـي سـوريا، نجـد أنـه فـي بعـض الحـالات ينسـحبُ مـن بعـض المواقـع فـي سـوريا، وفـي ريـف حمـص.[٤٧] ومَـردُّ ذلـك إلـى الموقـف الروسـي الـذي يغـضُّ الطـرفَ عـن الضربـات الإسـرائيليَّة لمواقـع «حـزب اللـه»، وهـذا مـا يدفـع الأخيـر إلـى سَـحبِ مجموعـاتٍ مـن سـوريا واتبـاع تكتيـكاتِ إعـادة التَّمَوضُـع، تجنبًـا لخسـائرَ ماديَّـة وبشـريَّة كبيـرة، إضافـة إلـى عمليـات تبديـل العناصـر. وبالتالـي، مـن غيـر المُرجَّـح أن يبتعـدَ عـن منطقـةٍ اسـتراتيجيَّة كريـف حمـص الغربـي والجنوبـي الغربـي،[٤٨] حيـث يُعـزِّز الحـزبُ لمواقعـه فـي المنطقـة ويُخـزِّن السـلاحَ والعتـاد والمـواد الغذائيَّـة اسـتعدادًا لتواجُـدٍ اسـتراتيجيٍّ طويـلِ الأمـد.

وقـد اعتـادت القُصيـر علـى وجـود قـوات حـزب اللـه فيهـا، وابتعـدَت إداريًّـا عـن حمـص خصوصًـا والدولـة السـوريَّة عمومًـا. حيـث أن عناصـرَ حـزب اللـه اللبنانـي بـدأوا بالتجـول ضمـن قـرى مدينـة القُصيـر، وعمـوم بلـدات ريـف حمـص الجنوبـي بشـكلٍ اعتـاد عليـه الأهالـي، ناهيـك عـن لُجـوءِ العديـد مـن أهالـي القـرى لمكاتـب أمـن الحـزب لحَـلِّ الخلافـات التـي تطـرأ بيـن المدنيِّيـن بعيـدًا عـن مؤسسـات نظـام الأسـد التـي تـم تَغييبهـا عـن المنطقـة.[٤٩]

عـزَّزَ حـزب اللـه بُنيتَـه التحتيَّـة العسـكريَّة فـي مناطـق داخـل سـوريا والتـي اتَّـسمَتْ بـضَعف النظـام فيهـا، لاسـيَّما علـى طول الحـدود السـوريَّة ـ اللبنانيَّـة، ممـا يُتيـح لـه حمايـة شـحنات الأسـلحة الإيرانيَّـة التـي يعتمـدُ عليهـا، ويؤمِّـن لـه أيضًـا منشـآتٍ تدريبيَّـة مهمـة، وكذلـك عمقًـا اسـتراتيجيًّا فـي حـالِ انـدلاع نـزاعٍ جديـدٍ مـع إسـرائيل. بصريـح العبـارة، لقـدِ اسـتفادَ حـزب اللـه وراعِيـتُه مـن ضعـف نظام بشـار الأسـد وعَجـزِه عـن حمايـة نفـوذه فـي مختلـف أنحـاء البـلاد.[٥٠]

# الهوامش

(١) دراسة صادرة عن البنك الدولي عام ٢٠٢٠ بعنوان: قدرة اللاجئين السوريّين على العودة إلى ديارهم... تحليل اقتصادي واجتماعي، بالإنكليزيَّة:
The Mobility of Displaced Syrians: An Economic and Social Analysis, **World Bank**, Washington, DC, 2020.

(٢) IBID, p 141, Figure 2.55.

(٣) IBID, p 142, Figure 2.56.

(٤) IBID, p 162, Figure 2.19.

(٥) IBID, p 106.

(٦) IBID.

(٧) مقابلة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع ضابط منشق ينحدر من القُصير.

(٨) طوني بولس، انتعاش التهريب مع سوريا يستنزف احتياطات المركزي اللبناني، موقع **إندبندنت عربيَّة**، ٢ تشرين الأول ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ١٩ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٢:٠٠.

(٩) طوني بولس، المصدر السابق.

(١٠) مع العلم أنَّ الأرقام متفاوتة فيما يخصُّ معابر التهريب، تمَّ الاعتماد على الرقم الأقل، انظر/ي: صندوق النقد يشترط غلق المعابر غير الرسميَّة لإقراض لبنان، موقع **العربي الجديد**، ٩ حزيران ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ١٣:٠٠.

(١١) جوني فخري، بالتفصيل... معابر حزب الله العسكريَّة وطريق طهران ـ بيروت، موقع **العربيَّة**، ٩ تموز ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٢١ نيسان ٢٠٢٣، الساعة: ١٨:٠٠.

(١٢) عروة المنذر، القُصير... شريان تهريب نابض على الحدود السوريَّة اللبنانيَّة، موقع **عنب بلدي**، ٤ أيلول ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٠:٠٠.

(١٣) يزن شهداوي، القُصير... طرق التهريب تتبدّل حسب حاجات حزب الله والنظام، موقع **المدن**، ٩ أيلول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٣ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ٩:٠٠.

(١٤) ذكر أن الشيخ صادق تمَّ تقليدُه العمامة من قِبل حسن نصرالله في عام ٢٠٠٣، انظر/ي: سوريا ـ لبنان: التهريب والعقوبات... حرب أخرى على الحدود، موقع **فرانس٢٤**، ١٩ نيسان ٢٠٢١، تاريخ

الدخول: ١٩ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٤:٠٠.

(١٥) المرصد السوري يسلّط الضوء على قضيَّة تفشّي المخدّرات ضمن مختلف مناطق السيطرة... والنظام والميليشيات الموالية له يتصدّرون المشهد، موقع **المرصد السوري لحقوق الإنسان**، ١٤ نيسان ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٧ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٦:٠٠.

(١٦) طوني بولس، لماذا انتقلت «السوق الحرّة» للمخدّرات إلى الحدود السوريَّة المُحاذية للبنان، موقع **إندبندنت عربيَّة**، ٢٢ شباط ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٣ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ٩:٠٠.

(١٧) صفحة **حمص ـ شعبة المركز الثانية**، فايسبوك، ١٣ نيسان ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٥ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ٢١:٠٠. أيضًا، انظر/ي: ازدهار تجارة المخدّرات في حمص على يد ميليشيا حزب الله، موقع **زيتون**، ٢٩ تشرين الأول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٩ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ٧:٠٠.

(١٨) زراعة الحشيش في القُصير... حزب الله يستغل أراضي ريف حمص الخصبة في إنتاج المخدرات، موقع **حلب اليوم**، ٢٣ أيار ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢٣ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ٩:٠٠.

(١٩) مقابلة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع ناشط مدني من مدينة القُصير.

(٢٠) خريطة الكبتاغون بين سوريا ولبنان... مصانع بمناطق «حزب الله»، موقع **النهار**، ٢٦ نيسان ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٩ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ٨:٠٠.

(٢١) The Syrian Economy at War: Captagon, Hashish, and the Syrian Narco-State, **Center for Operational Analysis and Research (COAR)**, April 2021, p 10, Figure 2 entry date: 3 February 2023, entry hour: 15:00

(٢٢) كارولين روز، ألكسندر سودرهولم، تهديد الكبتاغون: لمحة عن التجارة غير المشروعة والاستهلاك والحقائق الإقليميَّة، موقع **معهد نيولاينز (بالانكليزيَّة)**، تاريخ الدخول: ٨ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٨:٠٠.

(٢٣) Smugglers and Security Agents: Fragmentation and Decentralisation in Southern Syria's Captagon Networks, **Center for Operational Analysis and Research (COAR)**, 30 July 2022, entry date: 30 August 2023, entry hour: 12:39

(٢٤) Martin Chulov, A dirty business: how one drug is turning Syria into a narco-state, **The Guardian**, 7 May 2021, entry date: 11 March 2023 ،entry hour: 22:00

(٢٥) من لبنان إلى تركيا... شبكة تهريب بشر داخل سوريا تحكمها المخابرات والميليشيات الرديفة، موقع **وكالة ستيب الإخباريَّة**، ٧ تشرين الأول ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٢ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٦:٠٠.

(٢٦) مايز عبيد، المدن ترصدُ كيفيَّةَ تهريب الأشخاص على الحدود اللبنانيَّة ـ السوريَّة، موقع **المدن**، ٦ كانون الأول ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ١٣:٠٠.

(٢٧) رياض الزين، مجموعات الخطف تُرعِب الساعين إلى الفرار من درعا، موقع **الشرق الأوسط**، ١٦ حزيران ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ١٣ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ٢٣:٠٠.

(٢٨) طوني بولس، انتعاش التهريب مع سوريا يستنزف احتياطات المركزي اللبناني، موقع **إندبندنت عربيَّة**، ٢ تشرين الأول ٢٠٢٠، مصدر سابق.

(٢٩) طوني بولس، المصدر السابق.

(٣٠) قوات النظام تستغني عن حواجزها لصالح حزب الله في قرية جنوب حمص، موقع **حلب اليوم**، ٢١ شباط ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٣ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٩:٠٠.

(٣١) المصدر السابق.

(٣٢) جوني فخري، بالتفصيل... معابر حزب الله العسكريَّة وطريق طهران ـ بيروت، موقع **العربيَّة**، ٩ تموز ٢٠٢٠، مصدر سابق.

(٣٣) قانون قيصر في مواجهة بشار الأسد: معركة بأدوات اقتصاديَّة، موقع **بي بي سي عربي**، ١٥ حزيران ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٧ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٤:٠٠.

(٣٤) تهريب المازوت والطحين من لبنان إلى سوريا... فضيحة بتوقيع «حزب الله»، موقع **الحرّة**، ١١ أيار ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ١٧ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٥:٠٠.

(٣٥) علي الإبراهيم، محمّد بسيكي، أحمد عبيد، رحلة مع المهرّبين من لبنان إلى سوريا... أي الطرق يسلكون ولمن يعملون؟، موقع **درج**، ٢ كانون الأول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٤:٠٠.

(٣٦) زياد غصن، الفوسفات السوري وجهة للاستثمار: ثروةٌ غير قابلة للصرف، **الأخبار**، ٢٢ آب ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢٦ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ١٨:٠٠.

(٣٧) روسيا تقف في طريق حزب الله اللبناني شرقي حمص... تهريب الفوسفات ممنوع من اليوم، موقع **عين الفرات**، ١٧ نيسان ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢٣ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ٨:٠٠.

(٣٨) ميليشيا «حزب الله» اللبناني تستخرج الفوسفات من سوريا وتنقله إلى لبنان، موقع **حلب اليوم**، ٢٨ شباط ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٦ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٧:٠٠.

(٣٩) روسيا تبلغ الأسد بنشر قوّات لها على الحدود مع لبنان، موقع **زمان الوصل**، ٣١ كانون الأول ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٣ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٣:٠٠.

(٤٠) Russia calls for foreign troop pullout from Syria including Iran, Hezbollah, **Al-Arabiya news**, 20 May 2020, entry date: 30 August 2023, entry hour: 13:08.

(٤١) Hanin Ghaddar, Iran and Hezbollah in Syria: U.S. Policy Options, **The Washington Institute for Near East Policy**, 27 September 2018, entry date: 30 August 2023, entry hour: 13:41

(٤٢) جمانة قدّور، حمص: انقسامات تعكس وتُجسِّد الصورة الكليَّة للنزاع السوري العالق، موقع **مركز مالكوم كير ـ كارنيغي للشرق الأوسط**، ٢٢ أيار ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٦ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٨:٠٠.

(٤٣) إيران تملأ الفراغ الروسي في سورية... تحركات تكشف، موقع **العربيَّة**، ٥ نيسان ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ١٥ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٧:٠٠.

(٤٤) خلافات بين ماهر الأسد وحزب الله... الفرقة الرابعة تنسحب، موقع **العربيَّة**، ١٧ أيلول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢١ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ٩:٠٠.

(٤٥) منع تَجوُّل... خلاف جديد بين الفرقة الرابعة وحزب الله، موقع **العربيَّة**، ١٥ تشرين الأول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٨ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٠:٠٠.

(٤٦) للمزيد انظر/ي: أرباح التهريب تؤجّج الخلاف بين حزب الله والفرقة الرابعة، موقع

**المشارق**، ٨ شباط ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٣ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٩:٠٠.

(٤٧) حزب الله يسحب أكثر من ٢٥٠٠ عنصر من سوريا... ماذا يجري، موقع **العربيَّة**، ٣ أيلول ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ١٧ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٣:٠٠.

(٤٨) المصدر السابق.

(٤٩) قوات النظام تستغني عن حواجزها لصالح حزب الله في قرية جنوب حمص، موقع **حلب اليوم**، ٢١ شباط ٢٠٢٢، مصدر سابق.

(٥٠) إيران طلبت من حزب الله نقل جزء كبير من عناصره إلى لبنان، موقع **قاسيون**، ٢٧ كانون الأول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢ نيسان ٢٠٢٣، الساعة: ١٦:٠٠.

# خاتمة

تَدخَّـل «حـزبُ اللـه» فِعليًّـا فـي وقـتٍ مُبكـر مـن الحـرب السـوريَّة، وتحديـدًا فـي خريـف عـام ٢٠١١؛ مُتـذرعًا بالهجمـات المتطرفـة علـى الشِّـيعة السـوريّين، واتخـذَ تدخلُـه أشـكالًا مختلفـة مـن الدعـم التقنـي والعسـكري والبشـري. فـي الواقـع، كان هـذا التدخـلُ مُنسـجِمًا مـع الاسـتراتيجيَّة الإيرانيَّـة فـي سـوريا مـن جهـة، والارتبـاط الوجـودي بيـن مصيـر الحـزب والنظـام السـوري مـن جهـة. غيـر أن التدخـلَ العسـكري المباشـر كان فـي ربيـع ٢٠١٣ عبـر تدخلـه لحَسـمِ معركـة القُصيـر لصالـح النظـام السـوري، مدفوعًـا بجملـة مـن الأسـباب الاسـتراتيجيَّة: الأول، يتعلـق فـي المقاربـة التـي تَنـدرِجُ ضمـن الاسـتراتيجيَّة الكبـرى للمحـور الإيرانـي فـي تثبيـت النظـام السـوري، وبمـا تتمتـع بـه القُصيـر مـن أهميَّـةٍ عسـكريَّة لحَسـمِ معركـة حمـص. والثانـي، يرتبـط مباشـرةً بمصالـح «حـزب اللـه» وأمنـه القومـي، وتأميـن الحـدود الغربيَّـة لريـف دمشـق وحمـص. واسـتخدمَ «حـزب اللـه» الروابـطَ العشـائريَّة العميقـة التـي تُوحِّـد الشِّـيعة علـى جانبـي الحـدود بيـن البلدَيـن، لحَشـدِ حاضنتـه الشـعبيَّة نحـو خـوضِ حـربٍ طويلـةِ الأمـد ولـتَبرير حجـم الخسـائر الكبيـرة التـي سـتترتبُ فيمـا بعـد علـى تورطـه فـي الصِّـراع المسـلح علـى طـول خـط الأزمـة السـوريَّة.

تحولت القْصير بعد السيطرة الكاملة لـ«حزب الله» إلى معبرٍ حدوديٍّ مفتوحٍ لعمليات التهريب المختلفة ومصدرٍ ربحيٍّ لكُلٍّ من الحزب والنظام السوري. وقد شملَتْ عملياتُ التهريب فيها كل شيء، ابتداءً بأنواع الأسلحة المختلفة، والمحروقات من مادتي البنزين والمازوت والغاز المنزلي، إلى الخضار والفواكه وأثاث المنازل، وانتهاءً بالمخدرات والدخان. وباتت القْصير بابًا مفتوحًا على مصراعَيه، ولكن تحت تنظيم عالٍ وكبير. فلم يعد التهريبُ التقليدي موجودًا وبات الحزب بالتنسيق مع «الفرقة الرابعة» يدخل ويخرج بأرتالٍ كبيرة. كما حَوَّلَ «حزب الله» و«الفرقة الرابعة» القْصير، لا سِيَّما مناطق غرب العاصي، إلى مقاطعةٍ خاصة به لإنتاج وتهريب الحشيش، الذي يتم شحنُه لاحقًا إلى لبنان لمعالجته، من ثمَّ العمل على تصديره نحو بلدانٍ متفرقة، فضلًا عن إغراق السوق السوريَّة بالمخدرات والحشيش على حَدٍّ سواء. وعليه، نجد أن مدينةَ القْصير تُشكِّل حلقةَ وصلٍ لطُرق تهريب الحشيش والمخدرات في سوريا، من القْصير شمالًا نحو الموانئ السوريَّة، ومن القْصير جنوبًا نحو المنطقة الجنوبيَّة فالأردن والسعوديَّة.

ونظرًا لأهميَّة منطقة القْصير العسكريَّة والاقتصاديَّة والأمنيَّة بالنسبة لـ«حزب الله»، والأهميَّة الاستراتيجيَّة في تأمين خطوط الإمداد ضمن طريقٍ استراتيجيٍّ يربطُ بين الحدود العراقيَّة واللبنانيَّة، والتي تسعى إيران لتأمينه بالتعاون مع «حزب الله»، استخدمَ هذا الأخيرُ سياساتٍ مُمنهَجة للتغيير الديموغرافي تضمنُ إحكامَ قبضته على منطقة القْصير، تَجلَّتْ في عمليّات التهجير المَدروسة من قِبل «حزب الله» بحَقِّ الأهالي والتي بدأَتْ ملامحُها بالظهور بعد فترةٍ وجيزة من سيطرته في القرى ذات الخليط الشيعي ـ السُّني، ومنع عودة اللاجئين السوريّين واستغلال غياب أهالي القْصير عن

مدينتهم، والظروف الصعبة التي يعيشونها بسبب نزوحهم ولجوئهم، للاستيلاء على أراضيهم ومحاولة شرائها. فضلًا عن التغلغل الاجتماعي في المنطقة لإحداث تَغيِيرٍ ديموغرافي فيها.

وعمل التمويلُ والجهدُ الدعويُّ الكبيران والإغراءاتُ الماديَّة والمعنويَّة على تشييع أهالي القصير من كافة الشرائح والفئات وبشكلٍ خاصٍّ السُّنة، وكان لـ«حزب الله» دورٌ مهمٌّ في هذه السياسات؛ إلا أنها كانت ضمن الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة للتغلغل الاجتماعي في سوريا، التي تصاعدت مع تَولِّي بشار الأسد للسلطة، عبر حملات تَشيُّعٍ منظمة، قادتها آنذاك السفارة الإيرانيَّة في دمشق ومُلحقِيتها الثقافيَّة في حلب.

استغلَّتْ إيران ووكلاؤها في سوريا الأزمةَ الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة الحادَّة في ٢٠١١، لتَرسيخ مكانتها عبر التغلغل الاجتماعي وزيادة عدد الشِّيعة في سوريا، بما يُحقِّق أمرَين: الأول، بحيث يكون التشيع بمثابة طليعة الفكر الإيراني في سوريا. والثاني، وجود عددٍ كبير من الشِّيعة في سوريا سيُوفِّر لإيران ذريعةً مستمرة للتدخل. إن محاولةَ إيران لزيادة عدد الشِّيعة تنبعُ من أن النسبةَ المئويَّة للطائفة الشِّيعيَّة في سوريا هي حوالى ١٪ (ليس كحال الطائفة في كُلٍّ من العراق واليمن ولبنان) وهذه النسبة من غير المُمكن أن تؤثر في التغيير الديموغرافي.

عمل حزبُ الله، ومنذ عام ٢٠١٣ بعد أن أصبحتْ له الكلمةُ العليا في القصير، على تطبيق سياسات التغيير الديموغرافي. وصار بدُخول بعض العائلات في القصير في المذهب الشيعي وتَغيير اسم عائلاتهم؛ وذلك بسبب رغبتهم في الحُصول على التسهيلات التي تَمنحُها لهم البطاقات الحزبيَّة، إنْ على سبيل الحصول على المساعدات أو البطاقات التموينيَّة والحسومات على المشتريات، أو

على سبيل إمكانيَّة الذهاب إلى القصير والعودة من دون قيود.

إن عمليَّةَ التغيير الديموغرافي ضمن منطقة القُصير بدأت فِعليًّا بعد ٢٠١٣، وهي وإن كانت تأتي مُنسجمةً مع الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة في سوريا للهيمنة على القرار السوري وتثبيت وجودها على المدى البعيد فيها، وبصرف النظر عن التغيرات السياسيَّة عبر ترسيخ وجودها الاجتماعي والاقتصادي والعسكري، إلا أنها تأتي ضمن استراتيجيَّةٍ خاصة يعملُ عليها الحزبُ لضمان أمنه القومي، والذي يأتي في مخططٍ استراتيجيٍّ للسيطرة العسكريَّة والأمنيَّة على المناطق الغربيَّة في ريف دمشق وحمص والمتداخلة مع معاقله في لبنان، بما يُوفِّر له خطوط الإمداد والسيطرة على المعابر واقتصاد التهريب لتَمويل نشاطه، وتأمين وجوده بعيدًا عن أيِّ متغيراتٍ إقليميَّة.

وبالتالي، فإن القُصير تتمتعُ بأهميَّةٍ خاصةٍ في هذا المشروع بحُكم موقعها الجغرافي وتركيبتها الديموغرافيَّة وقدرة «حزب الله» على التغلغل الاجتماعي فيها بحُكم سيطرته على المنطقة، بخلاف الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة الأشمل التي تُركِّز على التغيير الديموغرافي في مراكز المدن الكبرى بما تُشكِّله من ثِقلٍ ديموغرافي على المستوى البعيد، لا سيما دمشق وحلب ودير الزور. وإن كانت هذه العملياتُ ورغم التغيرات الكبيرة التي يتم الحديثُ عنها في التوزع الطائفي، إلا أنها ما زالت تندرجُ تحت نطاقِ التشيع السياسي، الذي تلعب الأوضاعُ الاقتصاديَّة والأمنيَّة في سرعة انتشاره، والذي يحتاج إلى استمرار الظروف الحاليَّة لفتراتٍ طويلة لترسيخه على المستوى العقائدي.

# مصادر البحث ومراجعه

- **استعادة المنازل**، مؤسّسة فريدريش إيبرت، ٢٠١٩.

- بطاطو، حنا، **فلاحو سوريا، أبناء وجهائهم الريفيّين الأقل شأنًا وسياساتهم**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

- **البعث الشِّيعي في سوريا (١٩١٩-٢٠٠٧)**، المعهد الدولي للدراسات السوريَّة، ٢٠٠٩.

**الدوّريات**

- الأخبار

- الشرق الأوسط

- الشرق القطريَّة

- العربي الجديد

- القدس العربي

- مجلة سياسات عربيَّة

- المدن
- النهار

**مواقع إلكترونيَّة**

- أورينت نت
- الأخبار
- إندبندنت عربيَّة
- بي بي سي عربي
- البنك الدولي
- تلفزيون سوريا
- الجزيرة
- حلب اليوم
- الحُرّة
- الحلّ
- الخنادق
- درج
- الرابطة السوريَّة لكرامة المواطن
- زمان الوصل
- زيتون
- ستيب الإخباريَّة

- شبكة الدفاع عن السُّنَّة
- شبكة عين الفرات
- الشرق الأوسط
- صحيفة العرب
- صحيفة الغارديان
- عنب بلدي
- العربي الجديد
- العربيَّة
- فايسبوك
- فرانس٢٤
- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيَّة
- مركز التحليلات العملياتيَّة والأبحاث (مركز كور)
- مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب
- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة
- مركز جسور للدراسات
- مركز حرمون للدراسات
- معهد الجامعة الأوروبيَّة
- معهد نيولاينز
- مكتب تنسيق الشؤون الإنسانيَّة التابع للأمم المتحدة
- مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي

- المجلس العسكري السوري
- المُحرّر
- المدن
- المرصد السوري لحقوق الإنسان
- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
- المشارق
- المنار
- الميادين
- نداء بوست
- نون بوست
- وزارة الخارجية الأميركيَّة
- وكالة رويترز

**أرشيف أمم للتوثيق والأبحاث**

# مصادر الصُّوَر ومراجعها

سوريا المفيدة» والتغيير الديموغرافي في سوريا»، حسين إبراهيم قطريب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

موقع google map

موقع الجزيرة

موقع العربية

موقع فيسبوك

موقع وكالة أوقات الشام الإخبارية

موقع شركة وفا تيليكوم

موقع نهار نت

موقع تلفزيون سوريا

موقع مختارات من الثورة السورية

موقع عنب بلدي

موقع الحرة

**موقع صوت سوريا**

**موقع زمن الوصل**

**موقع صحيفة عكاظ السعودية**

**موقع وكالة سبوتنيك الروسية**

**موقع وكالة نورث برس**

**صحيفة الأخبار**